السبت 17 تموز 2021
العدد 4393 السنة الخامسة عشرة
Samedi 17 juillet 2021 nº 4393 15ème année

24 صفحة
2000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

ميرتين أوكادهاين
من يَجرؤ على ترجمة أحاديث الموتى؟

البحث عن بديل الحريري: ميقاتي يرفض رئاسة الحكومة [2]

«الصحة» تحدّد سعر صرف الدعم بـ 12 ألف ليرة
تجّار الأدوية: لن نحلّ الأزمة! [2]

(أ ف ب)

قضية

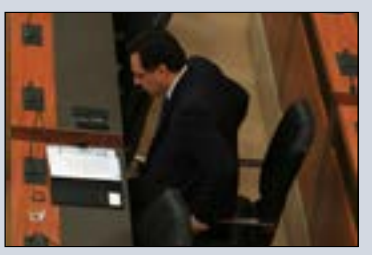

انفجار المرفأ:
عريضة نيابيّة لاتّهام دياب والوزراء السابقين

4

تقرير

المجر للبنان:
سنرفع الفيتو في وجه أيّ عقوبات أوروبيّة!

6

تقرير

انتخابات «المهندسين»
الأحزاب تنفض يدها من الحريري

7

تقرير

«الصحة» تحدّد سعر صرف الدعم بـ 12 ألف ليرة

تجّار الأدوية: لن نحلّ الأزمة!

406 ادوية منتجة محلياً خرجت أمس من دعم الـ 1500 ليرة إلى الـ 4800 ليرة، و1500 دواء آخر معلب محلياً ومستورد على أساس سعر صرف 12 الف ليرة لبنانية. لكن كانت لائحة الادوية المحلية لم تأخذ صدى يذكر. نفض المعنيون أيديهم من لائحة الادوية المعلّبة والمستوردة التي جاءت خارج توقعاتهم. على ما يقولون. يأخذ هؤلاء على تلك اللائحة أنها ابتكرت سعر صرف سيزيد الأزمة في السوق، إذ اعلنت المستوردون ــ وان سرّاً إلى الآن ــ أن لا حبة دواء ستأتي. هذا الامر إن عنى شيئاً، فهو أن الدولة مدعوّة إلى إعادة النظر في اللوائح بما يعفي من فقدان الأمن الدوائي. ولو تطلب الامر لائحة أخرى تعلنها الدولة عن الاستيراد المباشر

(هيثم الموسوي)

رأجانا حمية

بعد طول انتظار، أصدرت وزارة الصحة العامة، أمس، لائحتين بالأدوية التي يفترض أن تخرج من عباءة الدعم. في اللائحة الأولى، ضمّنت الوزارة الأدوية المنتجة محلياً بشكل كلي، والتي تتضمن ما يقرب من 406 أدوية أعادت الوزارة ترتيب أسعارها على أساس سعر صرف 4800 ليرة لبنانية للدولار الواحد، فيما ضمت اللائحة الثانية 1500 دواء معلّب محلياً ومستورد بموجب ترخيص، على أساس سعر الصرف 12 ألف ليرة لبنانية للدولار، آخذة بالاعتبار الوصول إلى الحد الأقصى من التسعير الذي تعتمده الدولة على الأقل حتى الآن. وإن كانت بعض المصادر تشير إلى إمكانية أن تكون تلك التسعيرة خاضعة للتعديل كلما دعت الحاجة، وتذهب مصادر أخرى إلى القول أن يكون التعديل «كل 15 يوماً»، وهو أمر ليس محسوماً بطبيعة الحال.

الأدوية في مراكز الرعاية الصحية الأولية بأسعار مقبولة وعبر الجمعيات.

لكن، على ما يبدو، فإن حسابات الحقل لم تطابق حسابات بيدر نقابة مستوردي الأدوية ولا الصيادلة... ولا حتى الجزء اليسير من المستهلكين الذين باتوا في معظمهم أقرب إلى خط الفقر منه إلى الاستقرار. وفي هذا السياق، وقبل أن تخضّ ضجة صدور لوائح الأدوية الخارجة من الدعم، أتت الضجة من نقابة مستوردي الأدوية الذين أعلنوا «عصيانهم»، وخصوصاً لناحية تسعير لائحة الـ 1500 دواء على أساس الـ 12 ألف ليرة للدولار. مشكلة هؤلاء في الفارق ما بين الشراء والمبيع، إذ «كيف يمكن أن نشتري الدواء على أساس سعر صرف السوق السوداء والذي وصل أمس إلى 24 ألف ليرة لبنانية، فيما تطلب منا الوزارة بيعه في السوق على أساس سعر 12 ألف ليرة؟»، يتساءل نقيب المستوردين، كريم جبارة. لا يجد هؤلاء مخارج للحلول على أساس المطروح، إلا في حالة واحدة «أن تؤمن لنا الوزارة الدولارات كي نستورد»، يضيف جبارة، أو «تركنا نشتري ونبيع على أساس سعر الصرف اليومي للدولار». أما على سعر الـ 12 ألفاً؟ فلن «يكون هناك استيراد». لكل هذه الأسباب، يقول جبارة «إننا لن نحلّ المشكل»، لافتاً إلى أن التوجه هو العودة إلى النقاش مع الوزارة «لكي نفهم لماذا اختار الوزير هذا الأمر».

> عدّلت وزارة الصحة العامة جعالة الصيادلة بحيث خفضتها من 22,5% إلى 16%، والمستوردين من 11% إلى 6%

على الطرف الآخر من المعادلة، سواء بقيت لائحة الـ 1500 دواء على سعر «منصة» الـ 12000 أو خرجت كلياً من الدعم، فإن الحلقة الأضعف هي السكان، فالخسارة واقعة هنا بالنسبة إلى هؤلاء وجلّهم من الفقراء. فأن تصبح كلفة علبة البنادول مثلاً بحسب نوعها وكميتها تتراوح أسعارها ما بين 36 ألف ليرة و75 ألف ليرة، فقد بات شراؤها مستحيلاً، وكذلك الحال بالنسبة إلى adol، وهي أدوية تستهلك كثيراً، التي باتت أسعارها تتراوح ما بين 46 ألفاً (advil children) و105 آلاف advil joint. أما بعض المضادات الحيوية (يقال لها «أدوية الالتهابات»)، فقد تضاعفت أسعارها بشكل كبير، ويمكن إعطاء مثال عن دواء amoxicilline الذي تتراوح أسعاره ما بين 485 و504 و608 آلاف ليرة، وamoclan ما بين 41 و82 ألفاً ودواء aitius للحساسية الذي يبلغ سعره 79 ألفاً وغيرها الكثير.

هذه الأسعار، غير النهائية بطبيعة الحال، هي ما تنتظر السكان في حال التوافق على سعر الـ 12 ألفاً. فماذا لو لم يجر التوافق على تلك التسعيرة، فكيف سيكون المرضى قادرين على شراء أدوية كانت حتى وقت قريب يبلغ سعرها 4 آلاف و500 ليرة وباتت اليوم بسعر الـ 80 ألفاً... والتي ستصبح على سعر السوق السوداء 160 ألفاً؟ الجواب يتطلب هنا إحصاء لمن لا يزالون قادرين على الدفع، وهذا مشكوك فيه.

أما الصيادلة، فخوفهم في مكان آخر. من ضياع ما تبقى من رؤوس أموالهم، حيث لفت نقيب الصيادلة، غسان الأمين، إلى صدور قرار عن الوزارة يقضي بتعديل جعالة الصيادلة من 22,5% إلى 16% وكذلك الحال بالنسبة إلى أرباح المستوردين، بخفضها من 11% إلى 6%.

إلى ذلك، لم تخرج إلى العلن اللائحة المدعومة لحدوث مشاكل تقنية في البرنامج. لكن، في العناوين العريضة، لفت الوزير حسن، في مؤتمر صحافي عقده صباح أمس، إلى أن لائحة الأدوية المدعومة تشمل كل أدوية الأمراض السرطانية والمستعصية والمزمنة والأمراض العصبية والنفسية والحليب ولقاحات الأطفال والبنج، على أن يطال الدعم في غالبيته «الجينيريك». ولئن كان الهدف المباشر من هذا الدعم هو التخفّف من ثقل الفاتورة لناحية الاستفادة من السعر الأدنى، مع الحفاظ على الجودة، إلا أن الهدف غير المعلن هو الضغط على الشركات الكبرى للتعديل في الأسعار لكي تبقى ضمن إمكانات السكان ولكي تبقى في السوق اللبناني.

تقرير

الغاز المصري... حلّ إنقاذي «يسرقه» الحريري!

بعد أن هرب سعد الحريري من التكليف، جُلّ ما كان يريده هو الفوز بالنقاط على خصومه. ولذلك، سارع إلى «قطف» معلومة، كان يفترض متابعتها مع الجهات المعنية، سبق أن سمعها كل المسؤولين من ممثل صندوق النقد: الأردن حصل على الموافقة الأميركية لمرور الغاز المصري عبر سوريا. لكن بصرف النظر عن «السبق الصحافي» الذي فاز به الحريري، هل يمكن للبنان أن يأمل بعقد يخفف الكلفة الضخمة لإنتاج الكهرباء؟ كل المؤشرات تؤكد أنه كما مصر مهتمة ببيع الغاز إلى لبنان، الأردن مهتم ببيعه الكهرباء. يبقى أن تبادر الحكومة الحالية أو الحكومة الجديدة إذا أمكن تشكيلها سريعاً، إلى التواصل مع البلدين، للحصول منهما على عروض تسهم، بالتوازي مع عقد الفيول العراقي، بإنقاذ البلد من العتمة

إيلي الفرزلي

رمى الرئيس سعد الحريري رميته ومضى. قال إنه طرح، أثناء زيارته إلى القاهرة ولقائه الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، قضية استجرار الغاز المصري إلى لبنان عبر الأردن وسوريا، معلناً أن الأردنيين استطاعوا إقناع الأميركيين بهذا الأمر.

ماذا بعد؟ هل هذا يعني أن لبنان سيحصل على الغاز المصري، أم أن ما قاله الحريري أتى في سياق إنجازات وهمية لن يكون لها أي تأثير على الأرض؟

تؤكّد مصادر مطلعة أن ما كشفه الحريري لم يكن سوى ما أبلغه المدير التنفيذي لصندوق النقد الدولي»، محمود محيي الدين، الذي زار لبنان منذ أيام، إلى المسؤولين الذين التقاهم. فهو أكد فعلاً أن الأردن تمكّن من الحصول على موافقة أميركية لاستثناء الغاز المصري من قانون قيصر، بما يسمح عملياً بمروره عبر الأردن وسوريا إلى لبنان من دون التعرض للعقوبات.

مع ذلك، فإن كلام الحريري شكّل أمس مفاجأة لأغلب الوزراء. إذ لا معلومات جدية عن أي تقدم في ملف استجرار الغاز من مصر، وإنْ يؤكد الجميع أن لبنان بحاجة ماسة لعقد كهذا يقلّص من استنزاف الدولارات على شراء الفيول، بحيث يمكن تشغيل معمل دير عمار (450 ميغاواط) كاملاً على الغاز. الحاجة إلى الغاز المصري لطالما كانت ملحّة، لكن الحريري الذي كان رئيساً للحكومة منذ 2016 وحتى نهاية 2019، لم ينجز شيئاً على هذا الصعيد. حينها لم يكن قانون قيصر قد صدر، لكن اعتبار الحريري وتياره أن المعركة مع النظام السوري أهم من تأمين مادة استراتيجية للبنان، حال دون أي تقدم في الملف.

مع ذلك، فإن ما قاله الحريري عن حصول الأردن على موافقة أميركية لاستثناء تصدير الغاز من العقوبات على سوريا، يفتح الباب أمام توسيع الخيارات أمام لبنان. فالأردن نفسه مستعد لبيع الكهرباء إلى لبنان، بخاصة أنه يملك قدرات إنتاجية تقارب ضعف حاجته. وهو سبق أن وضع في أولوياته السعي إلى بيع الكهرباء إلى لبنان وسوريا والعراق. كما تشير المصادر إلى أن عمّان تواصلت مع سوريا منذ ثلاث سنوات من أجل تصدير الكهرباء عبرها إلى لبنان، إلا أن السلطات السورية رفضت التواصل مع الأردن حينها، انطلاقاً من الدور الذي لعبه في الحرب على سوريا.

اليوم تغيّر الوضع. والتواصل بين البلدين عاد على أكثر من صعيد، لا سيما التجاري منه. وعليه، فإن لبنان مطالب بالتفاوض مع مصر والأردن معاً، وكذلك مع سوريا إذا أراد تخفيض كلفة الكهرباء.

لكن حتى مع افتراض أن العقبات القانونية أزيلت من أمام العودة إلى توقيع العقد مع مصر أو توقيع عقد جديد مع الأردن، فإن عقبات تقنية يُفترض أن تُذلّل قبل ذلك. إذ إن أنبوب الغاز طاله الضرر في منطقة الريان في محافظة حمص، بالتالي يفترض أن تبادر سوريا إلى إصلاحه في حال اتفاقها مع مصر على استئناف التصدير. كما أن أعمدة التوتر العالي في منطقة درعا التي يحتاجها نقل التيار من الأردن أيضاً معطّلة.

ما قاله الحريري عن مناقشته الملف مع الرئيس عبد الفتاح السيسي «لتخفيض فاتورة الكهرباء عبر الحكومة الجديدة رغم أنني لست رئيسها»، لا يعني الحاجة إلى وجود حكومة جديدة للسير بالاتفاق. إذ تؤكد مصادر قانونية غياب ما يمنع الحكومة الحالية من التفاوض وتوقيع اتفاق كهذا، بوصفه يدخل ضمن الأمور الطارئة في ظل الوضع الراهن بين البلدين يمكن أن تختصر الكثير من الوقت، فلبنان سبق ووقّع عقداً لمدة 15 عاماً مع مصر لاستجرار الطاقة عبر الخط العربي، بعدما وُصل لبنان به بخط يربط حمص (سوريا) بالبداوي (لبنان) بطول 32 كلم. وكان السعر منافساً حتى لمحطات التغويز في حال إنشائها في لبنان، إذ جرى استيراد الغاز بسعر 5,6 دولار لكل مليون «بي تي يو» (وحدة قياس للغاز الطبيعي)، مقابل أكثر من 7 دولارات للكمية ذاتها في حال إنشاء محطات تغويز.

> ممثل صندوق النقد كشف حصول الأردن على استثناء الغاز المصري من قانون «قيصر» الأميركي

لكن الفرحة اللبنانية لم تدم حينها لأكثر من سنة واحدة. إذ جمّد الجانب المصري العمل بالعقد من طرف واحد، من دون أي اعتراض لبناني، ليعود بعدها لبنان إلى الاعتماد كلياً على الفيول. حينها تردّد أن سبب توقف مصر عن تصدير الغاز كان تأخير وزيرة المالية ريا الحسن دفع الفواتير لإنتاج الكهرباء، إلا إذا كان الجانب المصري يشترط وجود حكومة مكتملة الصلاحية. لكن مع ذلك، فإن مصر التي صار الإنتاج يفوق حاجتها، بدأت بالفعل مساعي لإيجاد أسواق جديدة للغاز، وهي إذ تتوقع إنتاج 7,2 مليار قدم مكعبة من الغاز الطبيعي يومياً مع نهاية العام الحالي، فإنها ستكون مستعدة لتصدير ما يزيد على مليار قدم مكعبة. علماً أن التجربة السابقة التي كان أرسلها لها وزير الطاقة جبران باسيل لنحو ستة أشهر، ما زاكم نحو 30 مليون دولار من المتاخرات. أضف إلى ذلك أن القاهرة اعتبرت، حينذاك، أن الغاز المصري لم يعد كافياً لإشباع السوق المحلية، فخفّضت الكميات المعدة للتصدير.

بالرغم من التوفير الهائل الذي يؤمّنه إمداد معمل دير عمار بالغاز (يُقدّر الوفر بعشرات ملايين الدولارات سنوياً)، فإن الحكومات المتعاقبة لم تكترث لأهمية الاستعانة بالغاز، حتى العام 2013، حين أطلقت مناقصة لاستقدام محطة تغويز أعيد إلغاؤها لاحقاً بسبب الخلاف السياسي على نتيجتها، لكن بحجة أن الشركة لم تكن مؤهّلة لاستقدام المحطة وإدارتها. علماً أن الشركة نفسها عادت وبنت محطة في مصر! أما الخسارة بالأرقام، فكانت ما بين 2,5 و3 ملايين دولار في اليوم (من جرّاء استمرار الاعتماد على الفيول) أي ما يزيد على مليار دولار سنوياً.

لم يكترث أحد لهذه الأرقام. كانت الأولوية لإلغاء المناقصة تمهيداً لتحسين المواقع في المناقصة الثانية، التي أُطلقت في العام 2017، تعبيراً عن نضوج التسوية السياسية، وأفضت إلى إنشاء ثلاث محطات لا واحدة: البداوي والزهراني وسلعاتا. حينها كان الحريري رئيساً للحكومة، والأهم أنه بقي في موقعه حتى إنجاز المناقصة. لكن فيما كان يفترض أن تقر الحكومة نتيجتها في صيف 2019، استقال الحريري قبل البتّ بها، قبل أن تفقد الشركات اهتمامها بعد الانهيار النقدي. ولذلك، بدلاً من أن يكون تشغيل معملي الزهراني ودير عمار على الغاز قد بدأ في منتصف 2020، كانت النتيجة خسائر هائلة تقدر سنوياً بمليار دولار، أي ما يعادل 6 مليارات دولار منذ العام 2015 وحتى اليوم. وقد كان الحريري، الذي أوحى أنه حريص على تخفيض فاتورة الكهرباء من خلال التواصل مع المصريين، أبرز المسؤولين عن هدرها.

6 مليارات دولار هدرتها حكومات الحريري لعدم تشغيل معاملها الكهرباء على الغاز (هيثم الموسوي)

المشهد السياسي

البحث عن بدائل الحريري: ميقاتي يرفض رئاسة الحكومة

دخل لبنان مرحلة مواجهة جديدة بعد اعتذار رئيس الحكومة المكلف سعد الحريري. ولا سيما مع انسحاب المرشح الأبرز لخلافته النائب نجيب ميقاتي من المشهد وإبلاغه الأوساط المعنية عدم رغبته في تولّي منصب رئاسة الحكومة لتحذّر «نزوله تحت سقف الحريري»

في اليوم التالي لاعتذار رئيس الحكومة المكلّف سعد الحريري، بدأت القوى السياسية بالتشاور حول البديل، وسط ضغط أميركي وفرنسي بالإسراع في إجراء الاستشارات وتأليف حكومة. ومن المرجح، كما أشارت مصادر بعبدا، أن رئيس الجمهورية ميشال عون سيُعلن موعد بدء الاستشارات النيابية يوم الاثنين المقبل، على أن يكون تاريخها بعد انقضاء عيد الأضحى، ذلك لن يحول دون بدء المشاورات، على أن أولويات عون هي لرئيس حكومة يحظى بإجماع من القوى السياسية الرئيسية، وبقبول في طائفته. وفيما يصرّ الفرنسيون على تأليف حكومة قبيل ذكرى 4 آب، تلقّى رئيس الجمهورية رسالة أميركية ـ فرنسية بضرورة الدعوة الى استشارات سريعة لتأليف حكومة تطبق برنامج إصلاح واضحاً، مهما كانت الأسماء المشاركة فيها واسم رئيسها. تزامن ذلك مع إصدار الممثل الأعلى للاتحاد الأوروبي جوزيب بوريل بياناً في السياق نفسه ينقل فيه «دعوة الاتحاد كل القوى السياسية إلى «دعم التأليف العاجل للحكومة». وأضاف إن «لبنان يحتاج الى حكومة قادرة على تنفيذ الإصلاحات الرئيسية الاقتصادية والخاصة بالحوكمة والتحضير لانتخابات عام 2022، وبقى الاتفاق مع صندوق النقد الدولي ضرورياً لإنقاذ البلاد من الانهيار المالي».

الضغوط الأوروبية والأميركية للإسراع بتأليف حكومة، تُقابل باستمرار الحرب الباردة بين كل من عون ورئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل من جهة، ورئيس مجلس النواب نبيه بري والحريري من جهة أخرى. إذ تقول مصادر 8 آذار إن «باسيل بدأ يشاور مرشحين كالنائبين فيصل كرامي وفؤاد مخزومي، لكن بري يعارض هذا التوجه تحت حجة الحدّ من التوتر في الشارع السني وضرورة حصول أي مرشح على موافقة سعد الحريري». فبري، بحسب المصادر، «يعتبر أنه خسر جولة أمام عون وباسيل ولن يسمح بزيادة أرباحهما». وتشير مصادر عين التينة الى «انزعاج كبير جداً لدى بري من التغيير الذي أضفاه الحريري على التشكيلة الحكومية التي قدّمها لعون بما يضرب مبادرته وعلى عكس ما تمّ الاتفاق عليه. فطلب بري كان عدم الاعتذار، بل الاستمرار بحال الأخذ والردّ مع الرئيس». من ناحية أخرى، تشير المصادر الى انزعاج آخر في عين التينة من «المقابلة التي أجراها الحريري (مع قناة «الجديد»)، في الشكل والمضمون».

في موازاة ما سبق، وفيما كانت أسهم النائب نجيب ميقاتي الأكثر ارتفاعاً لخلافة سعد الحريري مع فرضه شروطاً مسبقة للقبول بالتكليف، أبلغ ميقاتي كلاً من الحريري وبري «عدم رغبته في تولي هذا المنصب لعدم تمكنه من التنازل تحت السقف الذي وضعه الحريري، وخصوصاً عند سؤاله عن مصير الوزيرين المسيحيين ومن يسمّيهما». ذلك رغم إشارة مصادر مقربة من الحريري إلى أن «ميقاتي كان مرشحه الأول والوحيد كما مرشح بري». وفي ظل اعتذار ميقاتي عن عدم تولّي المهمة، ليس للرجلين أي مرشح آخر، ولن يكونا مسهّلين لأيّ مرشح. على أن الطرح الجدي الوحيد اليوم هو فيصل كرامي الذي لا يعارضه عون ولا حزب الله، لكنه سيكون، إن تم التوافق عليه، مشروع «حسان دياب آخر وستجري تسميته من فريق واحد دون الآخر».

في سياق آخر، أكد المدير التنفيذي لصندوق النقد الدولي محمود محيي الدين أن «وجود حكومة لبنانية كاملة الصلاحيات الدستورية شرط ضروري وأساسي لبداية أي تفاوض مع صندوق النقد الدولي بخصوص برنامج للتعاون». وقال في مقابلة مع وكالة «أنباء الشرق الأوسط» إنه «لا يمكن لصندوق النقد الدولي أن يعقد برنامجاً مع حكومة لا تملك صلاحيات دستورية كاملة ولا مع حكومة مؤقتة أو حكومة تصريف أعمال».

(الأخبار)

قضية اليوم

انفجار المرفأ: عريضة نيابيّة لاتّهام دياب والوزراء السابقين

بينَ المنطق الدستوري والمزايدات الانتخابية، يتحرّك طلب القاضي طارق بيطار برفع الحصانة عن عدد من النواب (الوزراء السابقين) لملاحقتهم في قضية تفجير مرفأ بيروت. الخلاف يتركّز حول المرجعية المخوّلة محاكمتهم، إذ تنقسم آراء الكتل النيابية بشأن مثولهم أمام المجلس الأعلى لمحاكمة الرؤساء والوزراء. فيما نجحت الكتل الموؤيدة للخيار الثاني في جمع تواقيع 26 نائباً على عريضة نيابية تفتح مسار المحاكمة، للمرة الأولى في تاريخ لبنان، أمام المجلس الأعلى

ميسم رزق

بعدَ رفض المحقّق العدلي في قضية انفجار مرفأ بيروت القاضي طارق بيطار طلب الهيئة المشتركة (المؤلفة من هيئة مكتب مجلس النواب ولجنة الإدارة والعدل) تزويدها بمستندات إضافية تتعلّق بالنوّاب: علي حسن خليل، غازي زعيتر ونهاد المشنوق لرفع الحصانة عنهم واستجوابهم كمُدّعى عليهم في الجريمة، تتجه الأنظار الى الخيارات المتاحة أمام الهيئة العامة لمجلس النواب.

وبيْن الدستور واستثنائية الحدث الذي يتطلّب إجراءات غير اعتيادية، تجرى نقاشات داخل الكتل النيابية لاتخاذ الموقف الأخير بشأن عدد من الخيارات، علماً بأن ما يُستخلص من

> **جرى الاعتراض على التعديل الدستوري باعتبار انه يحتاج إلى مسار طويل**

نقاشاتها يُظهر تأثير الجو الشعبي الذي يفرض خطاباً مُزايداً على أبواب الانتخابات، في ما يتعلق برفع الحصانات والجهة المخوّلة محاكمة «المُدعى عليهم».

وفيما تنقسم آراء الكتل النيابية بشأن مثولهم أمام المجلس العدلي أو المجلس الأعلى لمحاكمة الرؤساء والوزراء، نشطت في الأيام الماضية الاتصالات لتأمين تواقيع على عريضة «طلب اتهام وإذن بالملاحقة أمام المجلس الأعلى لمحاكمة الرؤساء والوزراء، استناداً إلى القانون 13 الصادر عام 1990». وتتضمّن هذه العريضة طلب توجيه الاتهام إلى كل من رئيس الحكومة حسان دياب، والوزراء السابقين: يوسف فنيانوس وغازي زعيتر ونهاد المشنوق وعلي حسن خليل. فهذه العريضة تتطلب توقيع خُمس أعضاء المجلس النيابي أي 26 نائباً، وقد نجحت الاتصالات في تأمينها حيث وقّع عليها نواب من كتل: «التنمية والتحرير»، «الوفاء للمقاومة» و«تيار المستقبل» (بعدما جرى البحث بهذا الأمر بين الرئيس سعد الحريري ونائب رئيس مجلس النواب إيلي الفرزلي خلال آخر لقاء جمعهما قبل أيام، وتعهّد الحريري بأصوات من كتلته)، بالإضافة إلى النائب عدنان طرابلسي، تمهيداً لرفعها الى النواب (الوزراء السابقين) المدعى عليهم للرد عليها خلال مهلة أقصاها 10 أيام.

وبعد الرد، يجتمع المجلس النيابي في جلسة استماع، ثم يقرر بالأكثرية إما رد طلب الاتهام، أو إحالة المشتبه فيهم إلى لجنة تحقيق نيابية ينتخبها المجلس «من رئيس وعضوين أصليين، و3 أعضاء احتياطيين». وبعد انتهاء لجنة التحقيق من عملها، يُعرض الأمر على الهيئة العامة لمجلس النواب، لتوجيه الاتهام بأكثرية ثلثَي المجلس. وفي حال صدور قرار الاتهام، يُحاكم المتهمون أمام المجلس الأعلى المؤلف «من سبعة نواب وثمانية قضاة من أعلى القضاة رتبة (...) ويجتمعون تحت رئاسة أرفع هؤلاء القضاة رتبة، وتصدر قرارات التجريم من المجلس الأعلى بغالبية عشرة أصوات». وفي حال نجاح العريضة النيابية في استصدار قرار باتهام، تكون هذه المرة الأولى التي ينظر فيها المجلس الأعلى لمحاكمة الرؤساء والوزراء في قضية تُعرض عليه.

وبينما تُصرّ «القوات» على المحاكمة أمام القضاء العدلي، تتوجّه الأنظار الى الموقف الذي سيتخذه التيار الوطني الحر والحزب الاشتراكي في ما بعدَ خلال التصويت في الهيئة العامة، مع الإشارة إلى أن هذه الكتل الثلاث نفسها سبقَ أن شاركت في إسقاط اقتراحات قوانين تتعلق برفع الحصانات والجهة القضائية التي يجب أن يمثل أمامها الوزراء في حال إخلالهم بواجباتهم الوظيفية أو اتهموا بارتكابات لها علاقة بالمال.

فقبلَ عام، تقدّم النائب حسن فضل الله بثلاثة اقتراحات في جلسة للهيئة العامة، تبدّلت المواقف، وجرى الاعتراض على التعديل الدستوري، باعتبار أنه يحتاج إلى مسار طويل. طُلب مناقشة تعديل القانون 90/13، وبعد النقاش تم التصويت على العجلة فسقط الاقتراح، إذ لم يحظ بتصويت أعضاء الكتل، حتى كتلة «التنمية والتحرير» تمنّع نصف أعضائها عن التصويت. أما «القوات» فلم يصوّت منها إلا النائب جورج عدوان، بينما طالب التيار الوطني الحر بإحالته الى لجنة فرعية برئاسة النائب إبراهيم كنعان. ومنذ ذلك الحين، لم يوضع أيّ من الاقتراحات على جدول أعمال المجلس أو أي من لجانه.

وبالإضافة إلى هذه الاقتراحات، تقدّم النائب حسن فضل الله باسم كتلة «الوفاء للمقاومة» باقتراح آخر يهدف إلى تعديل المادة 61 من قانون الموظفين (المسؤولية الجزائية) التي تحدّد بأن «يُحال على القضاء الموظف الذي يتبيّن أن الأعمال المنسوبة إليه تشكّل جرماً يعاقب عليه، وإذا كان الجرم ناشئاً عن الوظيفة، فلا يجوز ملاحقة الموظف إلا بناءً على موافقة الإدارة التي ينتمي إليها». الاقتراح بالصيغة التي قدمها فضل الله تلغي موافقة الإدارة ويتم الاكتفاء بإعطاء العلم، لكن الكتل النيابية الممثلة في اللجنة رفضت إعطاء القضاء هذه الصلاحية بحجة «إما رفع الحصانة عن الجميع وإما لا».

وللمفارقة، فإن كتلة القوات التي ترأس اللجنة (الإدارة والعدل) كما جميع الكتل، كان لها دور أساسي في إجراء التعديلات التي حافظت على الحصانة مع تعديلات في المهل لتنصّ المادة بعد التعديل على «إعطاء المرجع المختص مهلة 15 يوماً للإجابة على ملف ادعاء، وفي حال لم يفعل يعتبر ذلك موافقة ضمنية على الملاحقة». أما في حال الرد، فتقوم النيابة العامة برفع كتاب الى النائب العام التمييزي، ويعطى بدوره مهلة 15 يوماً، ويعتبر عدم رده موافقة ضمنية، أما إذا رفض فيتحمل هو كقاض مسؤولية عدم الملاحقة».

إذاً الكتل ذاتها التي ساهمت في إسقاط هذه الاقتراحات، هي من ترفع الصوت اليوم في اتجاه رفع الحصانة والمحاكمة أمام القضاء العدلي لا المجلس الأعلى، فيظهر وكأن الآخرين يريدون تغطية المتهمين أو حمايتهم، بحسب ما تقول مصادر نيابية، معتبرة أن «خطابهم هو خطاب شعبوي من باب المزايدة على أبواب الانتخابات». المصادر نفسها اعتبرت أن «أكبر خطأ ارتكبه المجلس كان في عدم إقرار هذه القوانين سابقاً لأننا اليوم محكومون بهذه المواد. فهناك مسار يخضع له الموظف، ومسار آخر يخضع له الوزراء والنواب، وأي خطوة تتخذ بعيداً عن هذين المسارين تُعدّ مخالفة».

نواب في التيار الوطني الحر أكدوا «التمسك بالمنطق الدستوري مع الأخذ في الاعتبار استثنائية حادث المرفأ»، مشيرين إلى أن «الخلاف اليوم ليس على رفع الحصانات أو لا، بل هو على المرجعية التي ستُحاكم. ونحن في التيار نعدّ دراسة دستورية وقانونية سنستند إليها لاتخاذ القرار». أما الحزب الاشتراكي فقد لفتت مصادره إلى أن «أمر التوقيع على العريضة جرت مناقشته معنا، لكننا نصرّ على أن تكون المحاكمة أمام المجلس العدلي». بدورها، «القوات» موقفها معروف لجهة «رفض التوقيع على العريضة بالمطلق، والإصرار على أن يحاكم الوزراء أمام القضاء العدلي».

تعديل قانون أصول محاكمة الرؤساء والوزراء (القانون 90/13) ليحاكم الوزراء أمام القضاء العدلي في قضايا الفساد (وقعها معه النائب هاني قبيسي)، واقتراح قانون تعديل دستوري للمادة 70 من الدستور التي تنص على ما حرفيته أن «لمجلس النواب أن يتهم رئيس مجلس الوزراء والوزراء بارتكابهم الخيانة العظمى أو بإخلالهم بالواجبات المترتبة عليهم ولا يجوز أن يصدر قرار الاتهام إلا بغالبية الثلثين من مجموع أعضاء المجلس. ويحدد قانون خاص شروط مسؤولية رئيس مجلس الوزراء والوزراء الحقوقية»، كذلك المادة 71 التي تقضي بأن «يُحاكم رئيس مجلس الوزراء أو الوزير المتهم أمام المجلس الأعلى لمحاكمة الرؤساء والوزراء». ونص التعديل على محاكمة الوزراء أمام القضاء العدلي باستثناء الخيانة العظمى، وقد وقّع على هذا الاقتراح مع النائب فضل الله كلّ من: كتلتَي «التنمية والتحرير» و«التيار الوطني الحر» ونواب مستقلون.

لكن عندما عرض الرئيس نبيه بري هذه الاقتراحات في جلسة للهيئة العامة، تبدّلت المواقف، وجرى الاعتراض على التعديل الدستوري، باعتبار أنه يحتاج إلى مسار طويل. طُلب مناقشة تعديل القانون 90/13، وبعد النقاش تم التصويت على العجلة فسقط الاقتراح، إذ لم يحظ بتصويت أعضاء الكتل، حتى كتلة «التنمية والتحرير» تمنّع نصف أعضائها عن التصويت. أما «القوات» فلم يصوّت منها إلا النائب جورج عدوان، بينما طالب التيار الوطني الحر بإحالته الى لجنة فرعية برئاسة النائب إبراهيم كنعان. ومنذ ذلك الحين، لم يوضع أيّ من الاقتراحات على جدول أعمال المجلس أو أي من لجانه.

وبالإضافة إلى هذه الاقتراحات، تقدّم النائب حسن فضل الله باسم كتلة «الوفاء للمقاومة» باقتراح آخر يهدف إلى تعديل المادة 61 من قانون الموظفين (المسؤولية الجزائية) التي تحدّد بأن «يُحال على القضاء الموظف الذي يتبيّن أن الأعمال المنسوبة إليه تشكّل جرماً يعاقب عليه، وإذا كان الجرم ناشئاً عن الوظيفة، فلا يجوز ملاحقة الموظف إلا بناءً على موافقة الإدارة التي ينتمي إليها». الاقتراح بالصيغة التي قدمها فضل الله تلغي موافقة الإدارة ويتم الاكتفاء بإعطاء العلم، لكن الكتل النيابية الممثلة في اللجنة رفضت إعطاء القضاء هذه الصلاحية بحجة «إما رفع الحصانة عن الجميع وإما لا».

وللمفارقة، فإن كتلة القوات التي ترأس اللجنة (الإدارة والعدل) كما جميع الكتل، كان لها دور أساسي في إجراء التعديلات التي حافظت على الحصانة مع تعديلات في المهل لتنصّ المادة بعد التعديل على «إعطاء المرجع المختص مهلة 15 يوماً للإجابة على ملف ادعاء، وفي حال لم يفعل يعتبر ذلك موافقة ضمنية على الملاحقة». أما في حال الرد، فتقوم النيابة العامة برفع كتاب الى النائب العام التمييزي، ويعطى بدوره مهلة 15 يوماً، ويعتبر عدم رده موافقة ضمنية، أما إذا رفض فيتحمل هو كقاض مسؤولية عدم الملاحقة».

إذاً الكتل ذاتها التي ساهمت في إسقاط هذه الاقتراحات، هي من ترفع الصوت اليوم في اتجاه رفع الحصانة والمحاكمة أمام القضاء العدلي لا المجلس الأعلى، فيظهر وكأن الآخرين يريدون تغطية المتهمين أو حمايتهم، بحسب ما تقول مصادر نيابية، معتبرة أن «خطابهم هو خطاب شعبوي من باب المزايدة على أبواب الانتخابات». المصادر نفسها اعتبرت أن «أكبر خطأ ارتكبه المجلس كان في عدم إقرار هذه القوانين سابقاً لأننا اليوم محكومون بهذه المواد. فهناك مسار يخضع له الموظف، ومسار آخر يخضع له الوزراء والنواب، وأي خطوة تتخذ بعيداً عن هذين المسارين تُعدّ مخالفة».

نواب في التيار الوطني الحر أكدوا «التمسك بالمنطق الدستوري مع الأخذ في الاعتبار استثنائية حادث المرفأ»، مشيرين إلى أن «الخلاف اليوم ليس على رفع الحصانات أو لا، بل هو على المرجعية التي ستُحاكم. ونحن في التيار نعدّ دراسة دستورية وقانونية سنستند إليها لاتخاذ القرار». أما الحزب الاشتراكي فقد لفتت مصادره إلى أن «أمر التوقيع على العريضة جرت مناقشته معنا، لكننا نصرّ على أن تكون المحاكمة أمام المجلس العدلي». بدورها، «القوات» موقفها معروف لجهة «رفض التوقيع على العريضة بالمطلق، والإصرار على أن يحاكم الوزراء أمام القضاء العدلي».

(هيثم الموسوي)

تقرير

إحالة سلامة على نيابة مكافحة الفساد في باريس

حوّلت القضية المفتوحة في فرنسا بشأن ثروة حاكم المصرف المركزي رياض سلامة إلى قضاة تحقيق في نيابة مكافحة الفساد في باريس في مطلع تموز، بحسب ما أوردت وكالة الصحافة الفرنسية أمس. وبحسب المعلومات، فتحت النيابة الوطنية المالية في فرنسا، في الثاني من تموز، «تحقيقاً قضائياً ضد سلامة وبتهم تبييض أموال في عصابة منظمة وتآمر جنائي»، وفق ما أعلنت نيابة مكافحة الفساد. وكانت هذه الأخيرة تجري تحقيقاً أولياً منذ نهاية أيار بعد شكويين تقدمت بهما جمعيات ضد سلامة ومقربين منه. ويتمتع قضاة التحقيق في القسم المالي من محكمة باريس، الذين تمّ تعيينهم في هذا الملف، بصلاحيات تحقيق أوسع، خصوصاً في مجال التعاون الدولي واحتمال مصادرة ممتلكات تعود لمشتبه فيهم.

وتعليقاً على القرار، قال وكيل الدفاع عن سلامة المحامي بيار-أوليفييه سور للوكالة: «نحن أول من تقدم بشكوى بسبب بلاغات كاذبة ومحاولة الخداع في الحكم ضد المكتب الفرنسي الذي نشر التقرير الأول للتحقيقات».

في المقابل، أشار محامو مقدّمي الشكوى وليام بوردون وأميلي لوفيفر إلى أنه «سيتمّ الكشف عن آلية نُظمية كاملة لإخفاء، وتبييض مبالغ ضخمة».

يذكر أن المدعيين هما منظمة «شيربا» التي تنشط في مكافحة الجرائم المالية الكبرى و«جمعية ضحايا الممارسات الاحتيالية والجريمة في لبنان» التي أنشأها مودعون خسروا أموالهم في الأزمة التي تشهدها البلاد منذ 2019. علماً أن المنظمتين الشاكيتين تتمتعان أيضاً بحق الوصول إلى التحقيقات، وسيكون بإمكانهما طلب إجراءات تحقيق من القضاة.

هذه التحقيقات الفرنسية المقامة تجرى بالتوازي مع تحقيقات أخرى في سويسرا فُتحت قبل أشهر، علماً أن الشكاوى تستهدف أيضاً عدداً من أقرباء سلامة، هم شقيقه وابنه وابن شقيقه إضافة إلى مساعدته. وتطالب بالنظر في مسؤوليات الوسطاء والمصارف المشاركة في عملية وضع الترتيبات المالية الدولية المعقدة لهذه الثروة.

(الأخبار)

في الواجهة

ادّعاء على الادّعاء: الأمن العامّ غير معنيّ

مدّ طلب المحقق العدلي طارق البيطار رفع الحصانات النيابية والوظيفية عن نواب ومسؤولين أمنيين وعسكريين. وتحفّظ المراجع المعنية عن استجابتها أو رفضها دار سجال من حول صدمة تضمنها طلبه: الإذن للادّعاء على اللواء عباس إبراهيم

نقولا ناصيف

جزم المحقق العدلي طارق البيطار في قرارات 2 تموز بالادّعاء سلفاً على المدير العام للأمن العام اللواء عباس إبراهيم، وطلب الإذن لاستجوابه بالصفة هذه، على نحو مماثل للنائبين علي حسن خليل وغازي زعيتر والمدير العام لأمن الدولة اللواء أنطوان صليبا، المدعى عليهم من المحقق العدلي السلف فادي صوان. إصراره على الادّعاء على إبراهيم، زاوَجَ القضائي بالسياسي - أو بَانَ كذلك على الأقل - نظراً إلى ارتباط هذا التزاوج بشخصية ارتبطت بالأدوار السياسية والأمنية المتشعّبة ومهمات الوساطة المحلية والخارجية اللصيقة بها.

على أن الأمن العام قارب الادّعاء من باب صلاحياته القانونية، وكذلك المسؤوليات المترتّبة عليه في مرفأ بيروت، كما في سائر المرافق المماثلة إذ تحصر نطاقها بوظائف محددة.

بعض ردود الفعل هضم الادّعاء، فيما بعض آخر عثر فيه على تسييس ناجم عن الجزم المسبق به، استعيد معه ما كان عليه القضاء اللبناني غداة اغتيال الرئيس رفيق الحريري عام 2005، والتحقيق الدولي الذي بدأ بالخدعة الملتصقة بأول رؤسائه ديتليف ميليس: استدُعي أربعة من الضباط الكبار إلى التحقيق، ثم صدرت على الأثر مذكّرات توقيف في حقهم، أبقتهم قيد الاعتقال أربع سنوات بلا محاكمة ما خلا بضع جلسات استجواب قلّت عن أصابع اليد الواحدة، إلى أن أطلقتهم المحكمة الدولية في أولى جلساتها عام 2009.

مذّاك وسمت سابقة ميليس القضاء اللبناني، وعبثت به وتلاعبت بقضاته والته وقوّضت سمعته. ذهب الرجل وليبْت السابقة في صورة قضاء لبناني كان يدار من خارج قصور العدل وأقواس المحاكم، على نحو معاكس لوجود سوريا في لبنان. ذهبت المعلمة، وبقيت المدرسة تدير البلاد منذ عام 2005 على نحو مطابق إلى أن وقع الانهيار الحالي المحتوم.

بعدما رفض المحقّق العدلي موقف مجلس النواب بتزويده الأدلة والإثباتات التي طالب بموجبها برفع الحصانة عن ثلاثة نواب - واعتبر البرلمان حصوله على الأدلة والإثباتات شرط البحث في رفع الحصانة أو عدمه - تمسّك وزير الداخلية محمد فهمي، كما اللواء إبراهيم، بموقف عدم وجوب الإذن برفع الحصانة الوظيفية، مستنداً إلى المعطيات المتوافرة في ملف متكامل لدى الأمن العام.

معطيات كهذه من المفترض أنها في عهدة البيطار، انطلاقاً من أن القضاء وضع يده على قضية الباخرة روسوس، حاملة شحنة نيترات الأمونيوم، منذ رسوّها في مرفأ بيروت أواخر عام 2013. تلا ذلك صدور قرار عن دائرة تنفيذ بيروت بالرقم 2013/1031 بحجزها احتياطياً ومنعها من المغادرة، ثم توالت فصولاً مشكلة تعويمها بعد إصابتها بعطل، فترحيل بحّارتها، انتهاءً بمصير الشحنة الضخمة من نيترات الأمونيوم ونقلها إلى المرفأ، بالتزامن مع وضع حارس قضائي على البضائع في العنبر 12.

بمقتضى الصلاحيات المنوطة بها، انحصر دور المديرية العامة للأمن العام بالعلاقة مع الأشخاص الذين كانوا على متن الباخرة، قبطاناً وبحّارة، بمنعهم خروجهم من الباخرة أو إليها، إلى حين وضع القضاء المستعجل يده على القضية، بتبلغه في الأول من أيلول 2014 قراراً تنفيذياً قضائياً بترحيل البحّارة، كان على الأمن العام واجب تنفيذه وفقاً لصلاحياته. ذلك أن البضائع والمواد تعود إلى إدارة المرفأ والمديرية العامة للجمارك. أما الأشخاص فوجدهم من صلاحية الأمن العام.

تبعاً لذلك، يتركّز دفاع الأمن العام عن اختصاصه وصلاحيته، غير المعنيّ بالعنبر 12 ومحتوياته، على المعطيات الآتية:

1 - ليست له أي صلاحية للكشف على العنبر 12 العائدة المسؤولية عنه إلى الجمارك وإدارة مرفأ بيروت حصراً حيال البضائع. لا سلطة له على المستودعات سواء بمراقبتها أو صيانة ما في داخلها.

2 - مع أن مكتب الأمن العام في المرفأ أعلم المديرية بالمعلومات التي راحت تصل إليه من قسم الاستقصاء لديه، تواتراً أو عبر أشخاص دخلوا إلى المرفأ يمثلون سلطة قضائية مكلّفين إنفاذ مهمة تتعلق بالمواد، بيد أن نطاق هذا الإعلام يقتصر على هذا الحد، ولا يُنشئ أي علاقة لدائرة أمن عام المرفأ بنيترات الأمونيوم.

3 - ناطت المادة الخامسة من قانون تنظيم المديرية العامة للأمن العام بها استقصاء المعلومات السياسية والاقتصادية والإجتماعية عن كل ما يمتّ إلى البلاد بصلة، فيما حددت المادة 11 صلاحية المكاتب الفرعية - إلى توليها استقصاء المعلومات - منح إجازات الدخول إلى مناطق المرافئ الجوية والبحرية. مال ذلك أن لا سلطة أو صلاحية للأمن العام على العنابر، بل محصورة بالأفراد والبحّارة. أضف أن المادة 139 من نظام الموانئ والمرافق تضع المستودعات الجمركية في صلاحية الجمارك حصراً. بينما يقصر قانون الأمن العام عليه ما يتعلق بالأشخاص، بنبط قانون الجمارك بهذه كل ما له علاقة بالبضائع والمواد.

4 - باتت نيترات الأمونيوم مرتبطة حصراً بالنزاع الناشب بين القضاء والجمارك وإدارة مرفأ بيروت، دونما أي علاقة للأمن العام به. ناهيك بأن إدخال هذه المواد وإبقاءها في المرفأ كانا بقرار قضائي.

5 - لأنه ضابطة عدلية، فإن الأمن العام مُلزَم بمراجعة القضاء في كل ما يتصل باختصاصه، ولا تدخل في هذا الاختصاص العنابر والمستودعات والبضائع الموجودة في المرفأ. منذ وضع القضاء يده على هذا الملف عام 2013، أضحت النيابات العامة المرجع الصالح للتحقيق والمتابعة في كل ما يتعلق بالبضائع والمواد في العنابر والمستودعات أو خارجها التي هي من اختصاص الجمارك، ناهيك بأن صيانة البضائع من صلاحية الجمارك وإدارة المرفأ والحارس القضائي، وإعادة التصدير من مهمات الجمارك وصلاحياتها.

6 - علم اللواء ابراهيم بوجود نيترات الأمونيوم في مرفأ بيروت بعد تلقيه

> **ادّعاء يسبق الاستجواب يستعيد شبح ميليس**

تقريرين من رئيس دائرة أمن عام مرفأ بيروت:

أول، في 13 أيار 2014، أشير فيه إلى الباخرة التجارية روسوس في مرفأ بيروت ومنع مغادرتها حتى إشعار آخر، بسبب إلقاء حجز احتياطي عليها بناءً على قرار أصدرته دائرة تنفيذ بيروت لوجود ديون متوجبة لشركة BUNKERENET، وجاء قرار الحجز قبل إفراغ البضائع في متنها وهي 2755.500 طن من نيترات الأمونيوم الشديدة الخطورة برسم الترانزيت، فأحال التقرير إلى الجهات الرسمية المختصة وفقاً للصلاحية.

ثان، في 9 حزيران 2020 مفاده أن جهاز أمن الدولة في المرفأ فتح تحقيقاً في إشراف المدعي العام التمييزي في نيترات الأمونيوم في العنبر 12، وأن النيابة العامة التمييزية أخذت علماً لوجودها داخل العنبر بلا حراسة. أضف أن مسؤولية رئيس المرفأ تقضي بتنفيذ قرار الحجز بعد تعيينه حارساً قضائياً عليها. بذلك تبين أن حراسة المواد المتفجّرة المحجوزة أوكلت إلى إدارة واستثمار مرفأ بيروت بناءً على إشارة المدعي العام التمييزي الذي طلب معالجة الفجوة المفتوحة وصيانة الأبواب.

7 - لم يكلف المدعي العام التمييزي دائرة أمن عام مرفأ بيروت مهمة متابعة مصير المواد منذ علم بها، مع تأكيد عدم اختصاص الأمن العام عملاً بالقوانين المرعية الإجراء. لم يتابع المدعي العام التمييزي أيضاً التقرير الذي أحاله إليه عام 2020 جهاز أمن الدولة، ما يثير شبهة قوية ويوفر دليلاً قوياً على أنه في أحسن الأحوال توقّع أن تسبّب المواد المتفجّرة في المرفأ بالقرب من الأماكن السكنية أضراراً جسيمة في البشر والحجر. قَبِلَ بالمخاطرة من خلال امتناعه عن إجراء ما يلزم لدرء الخطر، ما يربط مسؤوليته في هذا الصدد كون القضاء وضع يده على القضية منذ عام 2013. من البديهي عندئذ عندما تصبح قضية ما في إشراف القضاء وعهدته، تصبح الأجهزة الأمنية غير معنية باتخاذ أي تدبير إلا بأمر منه.

8 - نُقلت هذه المواد بقرار قضائي وليس وفقاً للآلية المعتمدة في الحالات العادية للمواد الخطرة والمتفجّرات المسموح إدخالها إلى لبنان. وصار إلى تعيين حارس قضائي عليها في القرار القضائي الذي سمح بإدخالها. وُضعت قضائياً تحت حراسة رئاسة المرفأ والجمارك والحارس القضائي الخاص، خصوصاً بعد إشارة القاضي غسان عويدات بوضع حراسة على العنبر رقم 12 وطلب تعيين رئيس للمستودع ومعالجة الفجوة المفتوحة وصيانة الأبواب. علماً أن القانون لا يجيز للأمن العام التدخل في موضوع حمولة السفن والبواخر التي ترسو في المرفأ، وإن أفرغت حمولتها في مستودعات المرفأ. كما أن حراسة المستودعات لم يكن مناط امرها به، ولم يقم بتعديل أو إلغاء هذا الواقع، ولم يطلب منه أي موجب في الوضع المتعلق بنيترات الأمونيوم وتخزينها وحفظها.

بذلك فإن الجرم المشكوّ منه لم يحصل لانعدام حراسة المستودع، بل نجم الانفجار عن عدم اتخاذ الإجراءات الكفيلة بصيانة المواد المودعة داخل المستودعات، وهي تحت الحراسة القضائية والممنوع أصلاً على الأمن العام دخولها أو التعاطي في شأن البضائع الموجودة داخلها.

صلاحية الأمن العام في الافراد لا في المستودعات والبضائع (هيثم الموسوي)

تقرير

العقوبات الأوروبية على أطراف لبنانيين ليست سوى «تهويل» ووسيلة للابتزاز السياسي. فقد أبلغت المجر السلطات اللبنانية رسمياً رفعها الفيتو في وجه فرض عقوبات من الاتحاد الأوروبي على قوى وشخصيات لبنانية، ووقوفها في وجه إدراج حزب الله على لائحة المنظّمات الإرهابية في الاتحاد الأوروبي

المجر للبنان: سنرفع الفيتو في وجه أيّ عقوبات أوروبيّة!

رلى إبراهيم

منذ مدة، يلوّح مسؤولون أوروبيون بالعقوبات على أطراف لبنانيين ربطاً بتعطيل تأليف الحكومة وإقرار الإصلاحات. آخر هذه «التهديدات» جاء على لسان وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لو دريان منذ 5 أيام. فقد أعلن الأخير غداة اجتماع لوزراء خارجية دول الاتحاد الأوروبي في بروكسل أن ثمة «إجماعاً سياسياً أوروبياً على اتخاذ عقوبات ضد أطراف لبنانية قبل نهاية هذا الشهر»، وأن السلطات اللبنانية لم تستجب «لطلبنا منذ وقت طويل بتأليف الحكومة وبدء الإصلاحات». ليضيف بعدها إن «الاتحاد الأوروبي توصل الى توافق سياسي من أجل وضع إطار قانوني لاتخاذ العقوبات. هذا الإطار القانوني سيكون جاهزاً قبل الذكرى الأولى لتفجير مرفأ

> حسم باسيل خياره بدعم التوجّه الروسي في المنطقة، بموازاة غضب فرنسي عليه وتهديد بالعقوبات

بيروت في 4 آب، وهو أداة ضغط على السلطات اللبنانية من أجل تأليف الحكومة وبدء مسار الإصلاح».

حديث لو دريان وتلويحه بعقوبات، متذرعاً بإجماع أوروبي لم يكن دقيقاً، وخصوصاً لناحية أن اجتماع وزراء خارجية دول الاتحاد الأوروبي شهد معارضة لفرض عقوبات والتدخل بامور دولة اجنبية. وأبرز المعارضين كان دولة المجر. وعلمت «الأخبار» أن وزير الخارجية الهنغاري بيتر سيارتو أبلغ لبنان رسمياً منذ بضعة أيام أن دولته ستضع فيتو على أي مسعى لفرض عقوبات أوروبية على لبنان أو على شخصيات أو قوى سياسية لبنانية، فيما يحتاج إقرار القانون الى إجماع من دول المجلس الأوروبي، وهو ما ليس متوفراً. وفيما تقف المجر كرأس حربة للمعارضة الأوروبية تجاه ما تسميه «عقوبات سياسية»، تنضمّ إليها كل من: إيطاليا، بلغاريا، بولندا والدنمارك. هذه الدول الخمس تتشارك في وجهة نظر واحدة تجاه العقوبات مختلفة عن الفريق الأوروبي المؤيد لفرض عقوبات والذي تتصدّره كل من: فرنسا وألمانيا وهولندا المتفقة بعضها مع بعض حيال النظرة الى الوضع اللبناني.

(هيثم الموسوي)

وتشير المصادر الى أن الاجتماع الأخير لوزراء الخارجية الأوروبيين تخلّلته مداخلة لوزير الخارجية الإيطالي الذي قال بوضوح إن الاتحاد ليس الولايات المتحدة من ناحية فرضه عقوبات سياسية ضد أفراد أو أحزاب، وإن إيطاليا ستعارض أي عقوبات من هذا النوع. فإذا ما أراد الاتحاد فرض عقوبات تجاه أي جهة، يفترض أن تكون موثقة بملف فساد صادر فيه حكم من المحكمة القضائية الأوروبية، وإلا لا مجال للبحث بالموضوع. الموقف الإيطالي كما الدول الأربع الأخرى (المجر، بلغاريا، بولندا والدنمارك)، سيحول دون حصول الإجماع على العقوبات التي باتت تستعمل كأداة للابتزاز، ولزيادة الضغط على بعض السياسيين.

وتشير مصادر سياسية مطّلعة الى أن الفرنسيين، بشكل خاص، أصبحوا على يقين بأن رئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل والفريق السياسي الذي يمثله، يقفون كعقبة أساسية تجاه طموحات باريس الاقتصادية في لبنان، وأن شريكهم الاقتصادي الرئيسي، سعد الحريري، قد سقط، بما يمثله من شراكة تاريخية ورثها من صداقة والده بجاك شيراك. لذلك يجهدون اليوم لفرض عقوبات على باسيل الذي سبق أن أدرج على لائحة العقوبات الأميركية. لذلك، يبدو باسيل أكثر ارتياحاً من الفرنسيين لناحية أن عقوبات أوروبية إضافية لن تقدّم أو تؤخر في ما يجري، عدا عن أنه يشير في مجالسه الى أن فرنسا أسقطت فرصتها المتاحة بعد تفجير المرفأ ولم تعمل بشكل جدّي للتعاون في مساعدة لبنان، بل سعت الى ممارسة الابتزاز بدلاً من الحوار. هذا السلوك «العدائي»، على ما تشير المصادر، أدى الى حسم باسيل أمره بالسير مع المشاريع الروسية واقتناعه بها بعيداً عن التهديدات الفرنسية إما بالانصياع للأوامر وإما العقوبات.

على صعيد آخر، أبلغ وزير الخارجية المجري السلطات اللبنانية أن المجر «ستقف ضدّ المساعي لفرض عقوبات على حزب الله والسعي لإدراجه على لائحة المنظمات الإرهابية في الاتحاد، وذلك لكون حزب الله يمثّل شريحة من الشعب اللبناني». يأتي هذا الموقف من إحدى الدول الأوروبية التي يحكمها اليمين، وهو موقف «ينبع من نظرة جديدة لمفهوم التكفير والإرهاب والصراع في المنطقة، بحيث صارت الصورة أوضح، والجهات التي تعزّز التوجه التكفيري وتغذيه معروفة»، بحسب مصادر على صلة بالخارجية الهنغارية.

موقف المجر ليس جديداً، بل سبق أن ردّده سيارتو مرات عدة، وآخرها خلال زيارته لبيروت في نيسان الماضي. يومها أكدّ الأخير لرئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل أن المجر تقف الى جانبه وإلى جانب لبنان معارضاً أي تدخل خارجي في شأن داخلي كتأليف الحكومة. وقال إن اجتماع وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي يومها الذي تناول لبنان أتى على ذكر العقوبات، لافتاً الى عدم صحة «وضع العقوبات على أشخاص منتخبين من قبل الشعب اللبناني بديموقراطية وبشكل قانوني، ولن ندعم ذلك أبداً. لن نقبل أبداً بأن تفرض عقوبات على أكبر حزب لبناني يمثّل المسيحيين، وسنتحدث بذلك دائماً لتكون المقاربة متوازنة وعادلة (..) لبنان بحاجة أكثر الى مساعدة حقيقية بدلاً من التلويح بعقوبات وتدخل خارجي».

تقرير

انتخابات «المهندسين»
الأحزاب تنفض يدها من الحريري

قبل يوم واحد من موعد انتخاب نقيب المهندسين وملء 6 مقاعد في الهيئة العامّة، لا يزال سعد الحريري يُصرّ على أن نقابة المهندسين لـ«تيار المستقبل». تخلّى عنه الحزب التقدمي الاشتراكي ثم حزب الله. ولحقت بهما الجماعة الإسلامية و«القوات اللبنانية». والرجل لم يتراجع خطوة إلى الخلف: أريد باسم العويني نقيباً للمهندسين

لينا فخر الدين

انسحبت معظم الأحزاب من انتخابات المرحلة الثانية لانتخابات نقابة المهندسين التي ستجرى غداً الأحد: حزب الله، الجماعة الإسلامية، الحزب التقدمي الاشتراكي، القوات اللبنانية والتيار الوطني الحر. جميع هذه الأحزاب حاولت إقناع الرئيس سعد الحريري بالتراجع عن اسم مرشحه لمركز النقيب باسم العويني، بهدف التفاهم جميعاً حول لائحة موحدة تضم مرشحين حزبيين وبرئاسة نقيب مستقل يُمكنه الفوز بالمعركة ضد ائتلاف «النقابة تنتفض».

لكن الحريري أصرّ على موقفه، رافضاً جميع الخيارات المطروحة ما دفع هذه الأحزاب إلى سحب مرشحيها إلى مركز النقيب والهيئة العامة. البعض يرى أن «دولته» يستمد قراره من إيمانه بأن تياره لا يزال الأقوى داخل النقابة، من دون الأخذ بالحسبان الخسارة المدوّية التي مُنيت بها الأحزاب في انتخابات المرحلة الأولى، وخصوصاً أن النسبة الأكبر من أصوات المهندسين السبع حصلت عليها «النقابة تنتفض».

ولكن للبعض نظرة أخرى في تمسك الحريري بالعويني، من دون أن يسير بالمرشحين الآخرين المحسوبين أيضاً على تياره: محمد سعيد فتحة ومحمد ياسين. يقول هؤلاء إنها عمليّة «تكسير رؤوس» موجهة إلى بعض القيادات داخل «المستقبل»، وتحديداً إلى أحمد الحريري وأحمد هاشميّة، إذ يُشاع داخل النقابة أن المرشحين الآخرين اللذين ترشحا في وجه العويني كانا محسوبَين على «الأحمديْن»، بل هما من أوعزا لهما بالترشح.

ومهما يكن من أمر، فإن سعد الحريري نجح في أن تكون له الكلمة الفصل في الترشيح داخل تياره. وكانت النتيجة انسحاب ياسين وفتحة الذي برّر انسحابه في كتاب موجّه إلى النقيب جاد ثابت بأن «الأجواء غير الصحيّة التي تسود الانتخابات لا تتوافق مع قناعاتي وأخلاقياتي».

وإذا كان ترشيح ياسين وفتحة ثم انسحابهما، يُعبّر عن شرذمة داخل «التيار الأزرق»، يؤكد بعض العارفين بأمور النقابة أن «المستقبل» قد لا يكون بمقدوره تشكيل لائحة مكتملة يرأسها العويني. وأكثر من ذلك، يُرجح هؤلاء أن لا يتعدى عدد المقترعين لمصلحة هذه اللائحة الـ 2500!

ما يُعزز هذا السيناريو هو جملة انسحابات سُجلت في صفوف مرشحي «المستقبل» إلى الهيئة العامة الذين يُعدون «أحصنة» التيار: منذر قمبريس وحسن دمج، بالإضافة إلى محمد الحجار الذي فاز بأحد مقاعد الفرع السادس وأعلن عدم تأييده خيارات «التيار» بعد رفضه في اجتماع عُقد أمس التراجع عن ترشيحه لرئاسة الفرع، ما يعني أنه قد يُصبح مرشح تيار آخر!

إذاً، تيار الحريري ليس بخير ولن يكون بمقدوره حشد قواعده غداً،

> جملة انسحابات من مرشحي «المستقبل» إلى الهيئة العامة

وخصوصاً بعدما تخلت عنه معظم الأحزاب باستثناء «أمل»، المستمرة بالتفاوض معه حتى ليل أمس لدعم مرشحه مقابل دعم مرشح «أمل» لرئاسة الفرع السادس. وإن كان «أمل» و«حزب الله» يؤكدان أن التناقض بين موقفيهما طبيعي «لأن العمل النقابي يختلف عن العمل السياسي».

ولكن هل جميع الأحزاب التي سحبت مرشحيها ستنكفئ عن المعركة؟ يجيب المتابعون بأن يكون اليوم السبت هو الحاسم وخلاله قد تتغيّر التحالفات والترشيحات وإلا يكون «التيار الأزرق» قد أقدم على الانتحار. ويلفتون إلى أن لوائح الأحزاب في انتخابات النقابة كانت عادة تتناخر، مذكرين بانتخابات عام 2008 عندما انتهى اجتماع تشكيل اللوائح عند الساعة الـ 6 فجراً، أي قبل ساعات قليلة من فتح صناديق الاقتراع.

وفي حال بقاء الحريري على موقفه، فإن الأحزاب ستشارك في عملية الاقتراع لتتوزع الأصوات بين مرشح «النقابة تنتفض» عارف ياسين والمرشح المستقل عبدو سكريّة، تاركة الخيار لقواعدها. هذا ما قالته مثلاً «الجماعة» حينما دعت جمهورها إلى اختيار الأفضل والأكفأ. وهذا أيضاً ما يقوله حزب الله الذي قد يطلب صباح غد من قاعدته الشعبية التصويت لمصلحة أحد المرشحين، وخصوصاً أن «الحزب» متصالح مع نفسه بالتعبير عن رغبته في التغيير داخل النقابة وترك فرصة لـ«النقابة تنتفض» لرؤية ما لديها.

(الأخبار)

تقرير

طرابلس: الأزمة الاجتماعيّة والمعيشيّة تنفجر أمنيًا

عبد الكافي الصمد

عندما زار قائد الجيش العماد جوزف عون مدينة طرابلس في 2 تموز الجاري، بعد 24 ساعة من تفلّت أمني خطير وانتشار مسلّح شهدته المدينة نتيجة الوضع الاقتصادي والمعيشي الضاغط، ومنها حذّر بأنّ «لمسَ بأمن المدينة ممنوع»، في موازاة تعزيزات عسكرية للجيش لضبط الوضع فيها ومنع خروجه عن السيطرة، بقيت عاصمة الشمال تشهد بشكل يومي، وخصوصاً ليلاً، إشكالات كان يتخلّلها تبادل لإطلاق النار من أسلحة حربية، قبل أن يتدخل الجيش في كلّ مرّة، ويفرض بالقوّة ضبط الأمن والحفاظ على استقرار أمني هشّ في مدينة لطالما اعتبرت خاصرتها الأمنية رخوة.

هذه الإشكالات التي كانت تقع بين مجموعات مسلحة في أحياء شعبية وفقيرة مثل باب التبّانة والأسواق القديمة وباب الرمل والقبة والزاهرية والبدّاوي ووادي النحلة تحديداً، تحوّلت في أحيان كثيرة إلى معارك وجولات اشتباكات صغيرة، يتبادل المسلحون النار فيها من أسلحة رشاشة، كان يقع ضحيتها قتلى وجرحى، وكانت ترسم «خطوط تماس» بين الحارات والأحياء والعائلات، وخصوصاً أنّ معظم هذه الإشكالات كانت تحصل إمّا بسبب أعمال ثأر قديمة، أو نتيجة خلافات على مصالح شخصية أو فرض خوات، أو بسبب خلافات فردية، أو على خلفية خلاف على أفضلية مرور، أو تجاوز في طابور أمام محطة وقود وسوى ذلك.

هذا التفلّت الأمني جعل أهالي وفاعليات المدينة يُضجّون منه ويدعون إلى ضبطه، خوفاً من خروجه عن السيطرة، وخصوصاً بعد تسريبات وشائعات واتهامات بأنّ مجموعات إسلامية متشدّدة تراقب الوضع وتستعد للتحرّك في المدينة ومناطق شمالية أخرى عند أوّل فرصة مناسبة لها، وأن الاتراك يحضّرون خلايا أمنية لهم لبسط نفوذهم في شمال لبنان، وتحديداً طرابلس، وأنّ حزب الله وحلفاءه يحضّرون بالمقابل عناصر من سرايا المقاومة وسواها للغاية نفسها، وأنّ الوضع المعيشي والاجتماعي الضاغط سوف يكون الشرارة التي سيجري استغلالها لانطلاق الأمور نحو الأسوأ.

هذه التسريبات والشائعات والاتهامات أكّدت مصادر أمنية لـ«الأخبار» أنّه «ليس هناك أيّ دليل يؤكّد وجودها»، مشيرة إلى أنّ «المخاوف الجدّية تتمحور حول خشية من أن يؤدّي تفلّت الوضع الأمني نتيجة تدهور الأوضاع المعيشية أكثر واستمرار الانقسام السياسي الى أن يبسط مسلّحون داخل الحارات والأحياء والمناطق سيطرتهم عليها كقوى أمر واقع».

أحد أبرز المعالم على هذا التفلّت الذي بدأت بعض مؤشّراته بالظهور، هو اعتراض مجموعات صهاريج محروقات في الشوارع والطرقات ومصادرتها، تحت حجّة أنّها ستباع في السوق السوداء أو سيجري تهريبها إلى الخارج، فضلاً عن اعتصامات شبه يومية تحصل أمام معمل دير عمار الحراري لإنتاج الكهرباء اعتراضاً على التقنين القاسي، أو أمام منشآت نفط طرابلس في البدّاوي احتجاجاً على عدم بيع مادة المازوت لمولدات الكهرباء الخاصة في المنطقة، أو إلى السيّارات والشاحنات التي تعمل على المازوت. وهذه التحرّكات كان الجيش يتدخّل دائماً لفضّها بعد صدامات مع المحتجّين، الذين كانوا يقطعون الطريق الدولي في البداوي ودير عمار والمنية في أكثر من نقطة، ويجعل مرور المواطنين عليه من طرابلس باتجاه عكّار والحدود الشمالية معاناة حقيقية بكلّ معنى الكلمة.

> سبقت الصدام بين الجيش ومحتجّين في جبل محسن اشتباكات شبه يومية بين مسلحين في أحياء طرابلسية

انفجار الوضع الاجتماعي الذي لطالما جرى التحذير منه وصل أمس إلى منطقة جبل محسن، المعروفة بأنها تمثل بيئة حاضنة للجيش اللبناني. وادى صدام غير مسبوق بين الجيش ومحتجّين قطعوا طريق سكّة الشمال أمام مدخل «الجبل» إلى سقوط أكثر من 25 جريحاً، 10 منهم من أفراد الجيش أصيبوا بعد رشقهم بالحجارة، وفق بيان للجيش. وفيما أصيب عدد من المحتجين بالرصاص، يؤشر هذا التطور إلى أن الوضع الاجتماعي والمعيشي الضاغط قد وصل إلى نقطة لم يعد ممكناً تحمّلها والسكوت عنها من أي فئة اجتماعية في مدينة تعدّ الأفقر والأكثر حرماناً بين معظم المناطق اللبنانية.

هذا التطوّر دفع النائب علي درويش الى دعوة أهالي جبل محسن إلى «عدم الاحتكاك مع الجيش اللبناني، الحامي والمدافع عن الجميع وصمام الأمان الوحيد»، مشيراً إلى أنّ أبناء المنطقة «لن يسمحوا بتظهيرهم كأنّهم بمواجهة مع الجيش تحت أيّ مسمّى كان، وهذا ما يجب أن يكون واضحاً للجميع»، مؤكّداً أنّ «جبل محسن كان وسيبقى البيئة الحاضنة للجيش اللبناني وتحت سقفه»، وداعياً إلى «عدم السّماح لأيّ جهة بزجّهم في أيّ مواجهة من هذا النوع».

بدوره، رأى عضو المكتب السياسي في الحزب العربي الديموقراطي حسّان سليمان أنّ ما حصل في جبل محسن هو «عبارة عن احتجاجات مطلبية نتيجة تدهور الأوضاع المعيشية، وفقدان السلع الأساسية»، مؤكّداً «الوقوف إلى جانب الجيش اللبناني أولاً وأخراً، وكنّا ولا نزال الحاضن له، ونطلب منه أن يكون حاضناً لأهل المنطقة»، وداعياً الجيش إلى «فتح تحقيق لمعرفة حقيقة ما جرى».

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير - المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت - فردان - شارع دونان - سنتر كونكورد - الطابق الثامن
■ للتفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15- 01/666314 - 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل /AlakhbarNews @AlakhbarNews /alakhbarnews-paper

مشروع سيرة إدوار سعيد، وإلصاق المواقف بالموتى [6]

أسعد أبو خليك *

لا يزال الحديثُ هنا عن كتابَين جديدَين صدرا في الغرب عن إدوار سعيد: كتاب لتلميذ سعيد، تموتي بريتان، «أماكن في الفكر: حياة إدوار سعيد»، وقبله صدر في فرنسا كتاب دومينيك إيده، «إدوار سعيد: فكره كرواية». والحملة على سعيد تتعاظم في صحافة النفط والغاز، وجريدة الصهيونيّة العربيّة الرسميّة، «الشرق الأوسط» (الناطقة باسم محمد بن سلمان) أفردت مقالة طويلة قبل أيّام للهجوم على سعيد ولتكرار زعم هاشم صالح بأن سعيد تراجع عن كتاب الاستشراق وأنه اعتذر عنه، وكاد أن يزعم أن سعيد وقف في حضرة محمد بن سلمان في بلاطه وأعلن ولاءه التام له. تستطيع أن تقرأ مواقف حقيقيّة ومزوّرة للأحياء والأموات، في صحف آل سعود. ومن المتوقّع أن تؤدّي حملة التحالف الخليجي الصريح مع إسرائيل إلى المزيد من التشنيع بسيرة سعيد وإرثه. الخطورة في إرث سعيد أنه وثّق للفصل المعرفي الغربي بين الشرق والغرب، وللعلاقة بين الاستعمار والحروب الغربيّة وبين الأكاديميا الغربيّة. ولم تزد التطوّرات السياسيّة الأخيرة ملاحظات سعيد إلا ثقابة وصحّة وصوابيّة. الأنثروبولوجيا الأميركيّة ساهمت في خدمة الاحتلال الأميركي للعراق، كما أن بعض علماء النفس ساهموا في حفلات التعذيب الأميركية بعد 11 أيلول. إن العلاقة بين المعرفة الغربيّة عن العرب وبين العداء لهم لم تكن يوماً منفصلة. وهذه الفكرة تتعارض مع محاولات الاستعمار الغربي الحالي في إيجاد صيغة مزيّفة من التعاون الإنساني العالمي الذي لا يخدم الإنسانيّة بقدر ما هو يجحب مكامن السيطرة الغربيّة على بلادنا بشعارات العولمة عن «القرية العالمية».

مشروع السيطرة الأميركيّة الكليّة على العالم (وليس هناك حالة سياسية يسري عليها صفة التوتاليتاريّة أكثر من الحالة الأميركية العالميّة في هذا القرن) يتطلّب إعادة تشكيل عناصر الهيمنة بكل أركانها، ولهذا الصحافة والثقافة بصورة عامة باتت من أولويات أميركا. محطة «الجزيرة» لم تتغيّر وتسير في الصراط الأميركي المستقيم إلا بعد أن باتت السفارة الأميركيّة في الدوحة تقدّم تقريراً دورياً للمدير العام لـ«الجزيرة» عن الاعتراضات الأميركيّة الصهيونيّة على كل برامجها ونشرات أخبارها (سمعتُ ذلك من مدير عام سابق للمحطة). وبات يسهل على الحكومات الأميركيّة السيطرة على الإعلام العربي لأنه في أغلبيته إما سعودي وإما إماراتي أو قطري - وهذه سلالات مطيعة جداً للراعي الأميركي. والإعلام الجديد فرصة جديدة لدول الغرب للوصول إلى الجيل الجديد بحلّة تبدو عربيّة في الظاهر. ومكتب البروباغندا في وزارة الخارجيّة الأميركيّة (يسمونها رسمياً «الدبلوماسية العامّة» - تماماً على نسق كتاب «1984» لجورج أورويل الذي لا يجب أن ننسى رجعيّته) أعلن عن مناقصة تكنولوجية من أجل محاربة «المعلومات المزيّفة» على نطاق عالمي. والحكم على معلومة سياسية بأنها مزيّفة أو صحيحة هو حكم سياسي وليس علمياً. هل كان عام 1948 عام الاستقلال الإسرائيلي (الحقيقة الأميركية) أم عام النكبة (الحقيقة العربية قبل تلوّثها بإعلام النفط والغاز).

يتطرّق بريتان إلى العلاقة بين الجبهة الشعبيّة وإدوار سعيد فيقول: إن محاولة سعيد ربط حركة التحرّر الفلسطيني بالثورات في العالم الثالث لاقت اعتراضاً وهجوماً من الجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين، وأنها (وهي التي «غازلها» سعيد ذات مرّة) أدانته لأنه بورجوازي، وأن سعيد قطع مع جورج حبش في عام 1988 لأن الأخير رفض الاعتراف بإسرائيل في المجلس الوطني الفلسطيني في عام 1988. ويضيف بريتان أن الجبهة الشعبية انتقدت سعيد لأنه «مفرط في البورجوازيّة». طبعاً، المؤلف لا يقرأ العربية وهذه الخبرية - مثل خبريّات أخرى ترد في الكتاب - ينقلها عن أشخاص معادين للجبهة ولسعيد معاً (هي من المصداقيّة مثل نقل «ميغافون» لخبريّات سركيس نعوم). هذه أخبار لا يُعتدّ بها وما كان يجب أن تُنشر أساساً. إن التعويض عن نقص معرفة الكاتب بالسياسة والثقافة والإعلام في العالم العربي لا يكون بنقل خبريّات من هنا ومن هناك بل في الحرص على عدم الركون إلى أيّ خبر ما لم يكن هناك مرجع أو مصدر له (للأمانة، أورد المؤلف الكثير من المراجع وهو جهد في بحثه لإتمام هذا الكتاب). لكن الكاتب أخطأ في تصويره للعلاقة بين سعيد وبين الجبهة الشعبية. لقد سألتُ الرفيق نوبار هوفسبيان عن ذلك وهو أكد ما كنتُ أعرفه: لم تكن هناك أي علاقة أو عطف أو انجذاب من قِبل سعيد للجبهة الشعبيّة لأن سعيد كان، ومبكراً، من أنصار الحل السلمي. متى مال سعيد للجبهة الشعبية؟ في عام 1977 عندما طرحه أنور السادات رئيساً لحكومة فلسطينية في المنفى أم في سنوات كارتر عندما كان سعيد يفاوض أقطاب الإدارة للاستحصال على اعتراف بإسرائيل من قبل منظمة التحرير الفلسطينية؟ لا، كان سعيد أقرب إلى طرح الجبهة الديموقراطية التي كانت تطرح مبكراً القبول بالتفاوض بين الفلسطينيّين وبين «القوى الديموقراطية في إسرائيل» (وكانوا عندما تسألهم عن تلك «القوى الديموقراطيّة» يعطونك مثال منظمة «ماتزين» التي كتبتُ عنها هنا قبل سنوات والتي لم تضمّ أكثر من أعضاء يُعدون على الأصابع). فيما بعد طلعت «فتح» و«الجبهة الديموقراطيّة» بأكذوبة «معسكر السلام» التي كانت كذبة احتاجها معسكر التسوية الفلسطيني لتسويغ التنازلات الجمّة التي أدّت إلى أوسلو. لكن موقف سعيد من التسوية ومن الجبهة الشعبيّة تغيّر كثيراً عبر السنوات بعد أن توصّل سعيد إلى نبذ التسويات والتنازلات الفلسطينيّة التي أدّت إلى أوسلو. لو أنسى لا أنسى خريف 1992 عندما حضر سعيد مناظرتي في مدينة نيويورك مع الصحافيّة جوديث ميلر (التي روّجت لأكذوبة أسلحة الدمار الشامل العراقيّة في «نيويورك تايمز»). وبعد المناظرة، مشينا على الجادة خارج المبنى وقال لي سعيد: بتعرف؟ أراني عبر السنوات أكثر قرباً من «جماعتك» في إشارة إلى الجبهة الشعبية وهدف تحرير كل فلسطين. هذا التطور في مسار موقف سعيد من التسوية لا يظهر في الكتاب (ربما لأن بريتان أراد تدجين صورة سعيد، وجعله أكثر مقبولية للجمهور الغربي الليبرالي. وكما قلتُ للمؤلف في جلسة «مركز كامبردج»)، ولا يظهر في الكتاب اسم حسن نصر الله مرة واحدة لأن المؤلّف لم يُرد أن يظهر هذا الجانب من شخصيّة سعيد الذي كان يؤيّد (ويغتبط من دون إعلان لـ) الكفاح المسلّح عندما يكون موجّهاً لقوات الاحتلال الإسرائيلي. سعيد طلب وحظي بلقاء نصر الله بعد تحرير الجنوب. حكم بريتان بالقاطع أن سعيد كان لا عنفياً بصورة مطلقة. هل هناك محاولة لرسم إرث سعيد السياسي بصورة لا تزعج الحاسية الليبراليّة الصهيونيّة في الغرب؟

وكتاب «الثقافة والإمبريالية» لسعيد أضاف كثيراً لإرث سعيد لأنه علّم أجيالاً جديدة علم التمحيص الأدبي في النصّ لانتشال العوامل العنصريّة في فكر الغرب، الليبرالي منه بصورة خاصّة. وكما يقول بريتان، في الكتاب الجديد (الذي أراده سعيد مكملاً لـ «الاستشراق») سعيد «يعتبر الإمبريالية ليس امتداداً فقط لنظام قائم على سرقة الموارد وعلى فرض العمل، ولكن على دافع بدائي، أو شبق، للسيطرة والإخضاع العنصري الذي سبق الاستعمار». يقول سعيد في الكتاب عن الإمبريالية إنها «واجب مستدام وشبه ميتافيزيقي لحكم شعوب متدنية وخاضعة أو أقل تقدّماً». وملاحظات سعيد (من أوائل التسعينيات) جاءت لتتّسق مع ما شنّت أميركا من حروب إخضاع بعد 11 أيلول. وفي الكتاب يدعونا سعيد إلى تعدّي استبطان الاستعمار لنا فيقول: «ليس هناك أحد اليوم ممن هو شيء واحد فقط. تسميات مثل هندي أو امرأة أو مسلم أو أميركي ليسوا إلا نقاط انطلاق، يمكن لو تبعتها لبرهة فقط في مجال التجربة الفعلية أن تضعها جانباً بسرعة. الإمبريالية رصّت مزيج الثقافات والهويّات على نطاق عالمي. لكن أسوأ عطاياها، وأكثرها مفارقة، هو في سماحها للشعوب بأن تؤمن أنها فقط، وبصورة أساسية وحصريّة، بيضاء أو سوداء أو غربية أو شرقيّة». وفي هذا يقوم سعيد بالتحذير من فصل معاكس للفصل المعرفي لفرضيّات الاستشراق الغربي، من قبل شعوب العالم الثالث.

وفي كتاب «السلام ومعارضوه» يصل سعيد إلى رفض مبدأ حلّ الدولتَين، الذي

> **جهد تموتي بريتان لجعل إدوار سعيد مقبولاً من الجمهور الليبرالي الغربي من دون الاكتراث للرجل الحقيقي الذي كان أكثر التصاقاً بالقضايا العربية مما يظهره الكتاب**

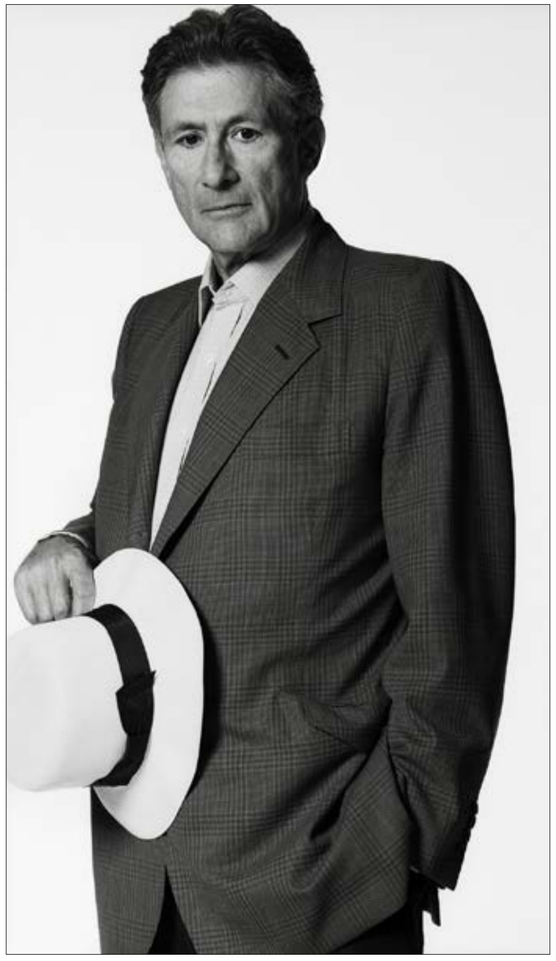
إدوار سعيد (عن الانترنت)

ارتبط باسمه مبكراً وكان من أوائل طارحي المشروع بين المثقّفين العرب في الغرب، ما أسبغ عليه مقبوليّة عند أنور السادات. لكن طرح سعيد في «مجلّة نيويورك تايمز» في 10 يناير 1999 بعنوان «حل الدولة الواحدة» يعتمد على أطروحات وفرضيات غربيّة، أن التداخل بين «الشعبين» يجعل من «حل» الدولتَين استحالة، وأن النضال العربي في داخل فلسطين 1948 بات محصوراً بحق المساواة. لكن الاحتجاجات الأخيرة في فلسطين 1948 تدحض فكرة حدود المطالب الفلسطينيّة هناك. ويعترف سعيد أن إسرائيل هي التي فرضت استحالة حلّ الدولتَين بسبب ممارسات الاستيطان في الضفة (وغزة أيضاً)، وأن الحكومة الأميركيّة بتساهلها شتّتت وشرذمت الشعب الفلسطيني. لكن بريتان، لسبب ما، لا يستطيع أن يفكّر بسعيد من خارج الطائفة والدين الذي ولد فيه. ويقول بريتان إن منطلق موقف سعيد من الدولة الواحدة ينبع من نفوره من دولة يهودية أو دولة إسلاميّة. لكن من يطرح دولة إسلاميّة؟ وهل احتلال فلسطين هو بسبب دولة فلسطينية ما؟ وكيف يمكن، في تناول القضيّة الفلسطينية وضع خطر الدولة اليهوديّة في موازاة الدولة الإسلاميّة (غير المطروحة أساساً، حتى من قبل الحركات الإسلاميّة الناشطة في فلسطين).

ويتحدّث سعيد عن نشر مقالات سعيد بالعربيّة في جريدة خالد بن سلطان، «الحياة»، لكن جهل بريتان يصل به إلى وصف هذه الجريدة المنقرضة بأنها «جريدة على نطاق عربي بانتشار يبلغ المئتي ألف نسخة». هذه أرقام خياليّة عن تلك الجريدة. وأذكر أرقام الانتشار عندما كان جوزيف سماحة يعمل فيها، وهي أقلّ بكثير. وغير صحيح أن سعيد كان يكتب مقالاته أحياناً بالعربيّة. هو كتبها دائماً بالانكليزيّة.

ويرد في الكتاب كثيراً اسم إسرائيل شاهاك، وهو أكاديمي إسرائيل نجا من المحرقة وشكّل لجنة للدفاع عن حقوق الإنسان في داخل الكيان. وكانت له مواقف شجاعة بالمقارنة مع عمل لجان الليبرالية في دولة العدو. وكان شاهاك منبوذاً من قبل صهاينة الكيان وصهاينة الغرب. وكان على صداقة ومراسلة مع سعيد. لكن في مراسلة مع إدوار سعيد يقول شاهاك ما يلي (عن كتاب لسعيد باسم «بعد السماء الأخيرة»): «لا أخفي عليك أن بعض جوانب الكتاب استفزّت اختلافي. لا أعني السياسة على الإطلاق. أعني أن الكتاب (وهو كتاب نثري لسعيد يرافقُ صوراً) شعريّ للغاية وغامض لذوقي، ومتأثر كثيراً بالشعر الفلسطيني، الذي اعترف أنني أمقته بشدّة - خلافاً للنثر الفلسطيني». ويسأل شاهاك عن سبب سهولة طرد الفلسطينيّين في عام 1948 ويجيب: «أحد الأسباب يمكن أن يكون شعراً فائضاً عن اللزوم خصوصاً شعراً لا يتضمن نقداً ذاتيّاً». لا ندري كيف أجاب سعيد على رسالة صديقه شاهاك لأن بريتان لا يذكر إلا رسالة شاهاك، لسعيد لكن من دون جواب الأخير. وبريتان اطّلع على كل أوراق سعيد الخاصّة التي جعلتها مريم، أرملة سعيد، بمتناول المؤلّف. لكن النفس الاستشراقي في رسالة شاهاك مقزّزة للغاية. كيف يمكن ربط الشعر الفلسطيني بأسباب النكبة في عام 1948. هل الشعر وتذوّق الشعر منع اللبنانيّين من الانتصار في حرب تموز مثلاً؟ ألم تكن أسباب الهزيمة ماديّة صرف؟ أي أن تسليح الصهاينة ودعمهم من قِبل الغرب، بالإضافة إلى تآمر كل الحكومات العربيّة، هو الذي أدّى إلى انتصارهم وليس غياب شعر النقد الذاتي عند العرب. وأن يسأل شاهاك (وهو ناجٍ من المحرقة النازية) عن سبب رحيل الفلسطينيّين ينمّ عن جهل بوحشيّة العصابات الصهيونيّة في فلسطين (وشاهاك خدم في جيش الاحتلال الإسرائيلي).

أما الحكم أن المثقّفين الفلسطينيّين استفظعوا حرص سعيد على ذكر معاناة اليهود في المحرقة، فهو قول مبالغ فيه ويعتمد على رسالة كتبها سعيد لواحد من أصدقائه. لقد تبلورت معرفة بالمحرقة في العالم العربي المعاصر. صحيح، هناك من لا يزال يشكّك بالمحرقة في العالم العربي، لكن هناك من لا يزال يشكّك بالمحرقة في دول الغرب، حتى في أميركا. وديبرا ليبستات، خبيرة المحرقة المعروفة، في كتابها «إنكار المحرقة»، تورد أرقاماً مذهلة عن استطلاعات في أميركا عن المحرقة ويرد فيها أن نحو خُمس الأميركيّين يقبلون بالتشكيك بالمحرقة، بصورة أو بأخرى. وأفكار التشكيك بالمحرقة انتشرت في إعلام الغرب على مرّ العقود، لكن مراجع التشكيك كانت في غالبها مراجع غربيّة من منكري المحرقة. وإنكار المحرقة جهل وفظاعة إنسانيّة تكمن في إنكار حقيقة تاريخيّة عن معاناة كبرى. لكن ما يعترض عليه بعض المثقّفين الفلسطينيّين والعرب، هو الربط بين الوعي عن المحرقة وبين حق الشعب الفلسطيني في الحريّة. بعض المثقّفين الغرب (لا أقول إن سعيد كان منهم بالضرورة) باتوا يجعلون من المعرفة الغربيّة عن المحرقة شرطاً للحق الإنساني بالحريّة. أي أنّ على الفلسطيني، مثلاً، أن يدرس تاريخ المحرقة قبل أن يعترض على احتلال إسرائيل لوطنه. طبعاً، جميل أن يتمتّع المرء بمعرفة تاريخيّة عن معاناة تاريخيّة لشعوب أخرى، لكن ليس فرضاً على الفلسطيني أن يعرف في بحور المعرفة كي يكسب حقّه في مقارعة المحتلّ. لم يُفرض على الشعب الفرنسي معرفة تاريخ ألمانيا كي يكسب حق مقاومة الاحتلال النازي، ولم يُفرض على الشعب الجزائري معرفة تاريخ فرنسا من أجل كسب حق تحرير الوطن من الاستعمار. والإصرار على مطالبة الشعب الفلسطيني بمعرفة تاريخ اليهود عبر التاريخ - وهو تاريخ يتضمّن معاناة واضطهاداً وعذاباً، من دون شك - يجعل من حقوق الشعب الفلسطيني حقوقاً مشروطة.

أما الاعتراض الآخر على سعيد، حسب رسالة لسعيد يستشهد بها بريتان، فهو استفظاع موقف سعيد بالنسبة لجعل الساحة الأميركيّة الساحة الأولى للعمل الفلسطيني في العالم (وقد تلقّى سعيد تمويلاً لإنشاء «المركز الفلسطيني» وقد أداره صديقه، نوبار هوفسبيان، لكنه لم يعمّر بسبب قطع التمويل من قِبل شبكة عرفات). صحيح أن أميركا هي عصب الدعم الخارجي لإسرائيل، وأنها هي التي تضمن التفوّق العسكري الإسرائيلي ضد العرب. لكن هذا الربط بين تحرير فلسطين وأولويّة الساحة الأميركيّة ليس له من مُبرّر تاريخي في سياق الاستعمار. لم يرحل الاستعمار عن بلد بسبب الاحتجاج أو المظاهرات في داخل البلد المُستعمِر. جرت مظاهرات عارمة ضد حرب فيتنام في أميركا، لكن المحتل الأميركي انسحب لأنه هُزم وطُرد من قبل الفيت كونغ. لم تنسحب القوات الأميركيّة من أفغانستان مؤخراً بسبب أيّ مظاهرات هنا. على العكس، إن شهيّة القبول ببقاء الاحتلال الأميركي في العراق وأفغانستان لم تزل خصبة في أوساط الرأي العام. كان يمكن للاحتلالَين أن يدوما لسنوات عديدة لكن الإدارات توصّلت إلى خلاصة استحالة النصر العسكري في البلدين. وحتى لو تمّ إقناع قطاع كبير في أميركا بحقوق الشعب الفلسطيني فهذا لا يُترجم تلقائياً بعكس السياسات الأميركيّة نحو إسرائيل. هاكم الحزب الديموقراطي الذي باتت قاعدته منقسمة حول الحلّ العادل، لكن قيادة الحزب لا تزال صلبة في موقفها الداعم لإسرائيل وعدوانها.

ويصل بريتان إلى رمية حجر سعيد في بوابة فاطمة في الجنوب، والتي انتشرت في الإعلام العالمي. وهنا يجب التمييز بين عالَمين مختلفَين كان سعيد يتعامل معهما: العالم العربي الذي يالفه سياسيّاً ويتعاطف معه ويحسّ بقضاياه ويدافع عنها بقوّة في الغرب، والعالم الغربي الذي هو أقرب إليه جمالياً ومعيشيّاً وأكاديمياً. رمى سعيد الحجر من دون تردّد لأنه كان يتعامل مع الجمهور العربي الذي يحسّ معه بنفس أحاسيسه. لم يكن يظنّ أن الجمهور الغربي سيعلم بذلك، أو لم يتوقّع ردة الفعل. لكن هنا، كانت مرّة اصطدم فيها عالما سعيد: العالم الغربي والعربي. لكن سعيد اكترث كثيراً لمواقف الغرب الليبرالي وأثّر ذلك (وإن بدرجة أقل عبر السنوات) على حدّة مواقفه من القضايا العربيّة. هذا لا يقلّل من شجاعة سعيد في الدفاع عن فلسطين في الغرب، ما فرض على إدارة الجامعة تركيز زجاج خاص مضاد للرصاص في منزله، على ما أخبرني ذات مرّة. لكن سعيد لم يكن يريد أن يقطع مع الجمهور الغربي الذي جعل منه نجماً (أكاديمياً وإعلامياً) قبل أن يكون معروفاً من الجمهور العربي.

هذه سيرة ستصبح مرجعاً عن حياة سعيد وستمرّ سنوات قبل أن تصدر سيرة تتخطّاها في شمولية الطموح الروائي، استفاد بريتان كثيراً من تسهيلات عائلة سعيد ومن فتح أوراقه الخاصة أمامه. والكتاب يشدّ القارئ لكن الشوائب فيه كبيرة وليست منصفة دائماً لسعيد، كما أراد المؤلّف حسب قوله. جهد بريتان لجعل سعيد مقبولاً من الجمهور الليبرالي الغربي من دون الاكتراث لسعيد الحقيقي الذي كان أكثر التصاقاً بالقضايا العربيّة مما يظهر هنا. ونشاطات سعيد في الجمعيات العربيّة هنا لا تبرز في السرد. هل كتابة سيرة سعيد تحتاج إلى عربي كي يكتبها أم إلى أيّ شخص بصرف النظر عن الإثنية لو كان مطلعاً على الثقافة والسياسة العربيّة، أم أنها تحتاج إلى حساسية غير استشراقية، وهذا بديهي في كتابة سيرة عن سعيد. هذه السيرة لا تخلو من النفس الاستشراقي، ومن حسن حظّ سعيد أنه لن يقرأها.

(تمّت)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

«هندسة احتلال»

عمرو علان *

تطرّق معلقون كثر، بينهم كاتب هذه السطور، إلى أبعاد اغتيال الشهيد نزار بنات. حاولنا في ما يخصنا وضع جريمة في سياقها الصحيح، إذ جاءت كنتيجةٍ طبيعيةٍ لفلسفة السلطة الفلسطينية المبنية على «التنسيق الأمني»... ناهيك بإمكانية وضع تلك الجريمة ضمن ردود السلطة الفلسطينية على منجزات معركة «سيف القدس» الأخيرة، التي شكلت تحدياً لمسار أوسلو سيّء الذكر، ولمفهوم «عملية السلام» الكاذبة برمّتها... فمنجزات المقاومة في معركة «سيف القدس» مثلت هزيمةً لكلٍّ من الاحتلال والسلطة الفلسطينية على حدٍ سواء.

بناءً على تلك الخلاصات يرد في السياق تساؤلان مهمان: ماذا لو لم تتجاوب السلطة الفلسطينية مع المطالب الوطنية بحل ذاتها؟ وما هو مصير المصالحة الوطنية؟

إنّ ما انتهت إليه السلطة الفلسطينية من «تنسيقٍ أمنيٍ مقدسٍ» مع قوات الاحتلال - بما يتعارض وأبسط الثوابت الوطنية - لا يأتي خارج السياق، بل مصيرٌ شبه حتميٍّ لأي سلطة حكم ذاتيٍّ تنشأ في ظل وجودٍ إحتلال، وذلك نتيجةً للعلاقة الجدلية التي تقوم بين الإحتلال وسلطة الحكم الذاتي، حيث تُوجد هذه العلاقة طبقةً برجوازيةً حاكمةً ترتبط اقتصادياً وعضوياً بالإحتلال ذاته، فيصير بقاؤها مرهوناً ببقائه، وبذلك تتحوّل سلطة الحكم الذاتي تلقائياً إلى أحد الأدوات الرئيسة والفعالة ضمن إستراتيجيات الإحتلال، من أجل قمع ذاك الشعب المحتل وحركات تحرره الوطنية، وهذا ما تدلل عليه التجارب التاريخية في الحالات المشابهة؛ لهذا ففرض تغيير السلطة الفلسطينية لنهجها تعدّ من شبه المستحيلات؛ إن لم تكن خارج الحسابات السياسية المنطقية بالمطلق.

إذا ما أُخِذت هذه الحقيقة بعين الإعتبار، يسهل الخلوص إلى أن التعويل على حلّ السلطة الفلسطينية لنفسها من تلقاء ذاتها يُعدّ على الأرجح أمرًا غير واردٍ، كذلك يصير عدم تحقق الوحدة الوطنية بين حركتي «حماس» و«فتح» مفهوماً ومبرراً رغم مرور قرابة 15 عاماً على الإنقسام، ورغم كثرة المحاولات السابقة لإنهائه، فالحديث هنا عن مشروعين متضادين يلغي أحدهما الآخر، وينطبق عليهما «البرهان العقلي» في «إستحالة الجمع بين الأضداد»، فهما لن يجتمعا إلا إذا غيَّر أحدُهما خَصائصَهُ، وهذا محمودٌ في حالة السلطة الفلسطينية، لكنه مستبعدٌ لما ذُكر سابقاً، وممكنٌ في حالة حركة «حماس» بصفتها حركة مقاومة، لكنه سيكون مذموماً من الناحية الوطنية، فإذا ما حصل واجتمع هذان المشروعان فلن يكون هذا إلا ضمن احتمالين اثنين لا ثالثَ لهما: فإما أن أحدهما قد غير في خصائصه الجذرية، وإما أن يكون أحدهما قد هيمن على الآخر بشكلٍ فعليٍّ بما يجعل خصائص هذا الأخير في حكم اللاغية.

وعليه في الحالة الفلسطينية، يصير من الأجدى لفصائل المقاومة الفلسطينية صرف النظر عن مسارات المصالحة العقيمة السابقة، وذلك إذا ما كانت تنوي الالتزام بعقيدتها وبخطها المقاوم، والبحث عن مسارٍ جديدٍ يمكن أن يفضي إلى مصالحةٍ وطنيةٍ حقيقيةٍ واضحة المعالم، تكون مؤسسةً على أهدافٍ منسجمةٍ، تتّسق مع الثوابت الوطنية دون تفريط.

ولقد منحتنا معركة «سيف القدس» مثالاً عملياً لمسار واقعي، يمكن البناء عليه لتشكيل وحدةٍ وطنيةٍ مضبوطةٍ، فبالإضافة إلى كون معركة سيف القدس قد مثلت نقلةً نوعيةً في مسار مكافحة الكيان الصهيوني، فقد طرحت أيضاً صيغة «غرفة العمليات المشتركة»، التي شكلتها «كتائب الشهيد عز الدين القسام» في قطاع غزة، بناءً على أهدافٍ وطنيةٍ واضحةٍ، وقادت من خلالها المواجهة الأخيرة بكل تفاصيلها بالتشاور والتشارك مع جميع فصائل «غرفة العمليات المشتركة» الأخرى، وقد شملت هذه الغرفة كافة الفصائل الفلسطينية المسلحة قاطبةً، بما فيها فصيلان مسلّحان تابعان لحركة «فتح»، وحقّقت بذلك معركة سيف القدس نصراً للشعب الفلسطيني بأكمله دون استثناء، ناهيك عن الإنجاز الذي تجاوز حدوده القُطرية الفلسطينية ليصب في طاحونة خط المقاومة والتحرير في عموم الإقليم.

ولعل من أهم منجزات «غرفة العمليات المشتركة»، الوحدة الوطنية التي تشكلت حولها في الشارع الفلسطيني، والتي شملت السواد الأعظم من أبناء الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة عام 1948 وعام 1967 بالإضافة إلى فلسطينيي الشتات، وهذا ليس بالأمر الثانوي وسلّطة الحكم الذاتي، حيث تُوجد هذه العلاقة طبقةً برجوازيةً حاكمةً ترتبط اقتصادياً وعضوياً بالإحتلال ذاته، فيصير بقاؤها مرهوناً ببقائه، وبذلك تتحوّل سلطة الحكم الذاتي تلقائياً إلى أحد الأدوات الرئيسة والفعالة ضمن إستراتيجيات الإحتلال، من أجل قمع ذاك الشعب المحتل وحركات تحرره الوطنية، وهذا ما تدلل عليه التجارب التاريخية في الحالات المشابهة؛ لهذا ففرض تغيير السلطة الفلسطينية لنهجها تعدّ من شبه المستحيلات؛ إن لم تكن خارج الحسابات السياسية المنطقية بالمطلق.

إذا ما أُخِذت هذه الحقيقة بعين الإعتبار، يسهل الخلوص إلى أن التعويل على حلّ السلطة الفلسطينية لنفسها من تلقاء ذاتها يُعدّ على الأرجح أمرًا غير واردٍ، كذلك يصير عدم تحقق الوحدة الوطنية بين حركتي «حماس» و«فتح» مفهوماً ومبرراً رغم مرور قرابة 15 عاماً على الإنقسام، ورغم كثرة المحاولات السابقة لإنهائه، فالحديث هنا عن مشروعين متضادين يلغي أحدهما الآخر، وينطبق عليهما «البرهان العقلي» في «إستحالة الجمع بين الأضداد»، فهما لن يجتمعا إلا إذا غيَّر أحدُهما خَصائصَهُ، وهذا محمودٌ في حالة السلطة الفلسطينية، لكنه مستبعدٌ لما ذُكر سابقاً، وممكنٌ في حالة حركة «حماس» بصفتها حركة مقاومة، لكنه سيكون مذموماً من الناحية الوطنية، فإذا ما حصل واجتمع هذان المشروعان فلن يكون هذا إلا ضمن احتمالين اثنين لا ثالثَ لهما: فإما أن أحدهما قد غير في خصائصه الجذرية، وإما أن يكون أحدهما قد هيمن على الآخر بشكلٍ فعليٍّ بما يجعل خصائص هذا الأخير في حكم اللاغية.

وعليه في الحالة الفلسطينية، يصير من الأجدى لفصائل المقاومة الفلسطينية صرف النظر عن مسارات المصالحة العقيمة السابقة، وذلك إذا ما كانت تنوي الالتزام بعقيدتها وبخطها المقاوم، والبحث عن مسارٍ جديدٍ يمكن أن يفضي إلى مصالحةٍ وطنيةٍ حقيقيةٍ واضحة المعالم، تكون مؤسسةً على أهدافٍ منسجمةٍ، تتّسق مع الثوابت الوطنية دون تفريط.

ولقد منحتنا معركة «سيف القدس» مثالاً عملياً لمسار واقعي، يمكن البناء عليه لتشكيل وحدةٍ وطنيةٍ مضبوطةٍ، فبالإضافة إلى كون معركة سيف القدس قد مثلت نقلةً نوعيةً في مسار مكافحة الكيان الصهيوني، فقد طرحت أيضاً صيغة «غرفة العمليات المشتركة»، التي شكلتها «كتائب الشهيد عز الدين القسام» في قطاع غزة، بناءً على أهدافٍ وطنيةٍ واضحةٍ، وقادت من خلالها المواجهة الأخيرة بكل تفاصيلها بالتشاور والتشارك مع جميع فصائل «غرفة العمليات المشتركة» الأخرى، وقد شملت هذه الغرفة كافة الفصائل الفلسطينية المسلحة قاطبةً، بما فيها فصيلان مسلّحان تابعان لحركة «فتح»، وحقّقت بذلك معركة سيف القدس نصراً للشعب الفلسطيني بأكمله دون استثناء، ناهيك عن الإنجاز الذي تجاوز حدوده القُطرية الفلسطينية ليصب في طاحونة خط المقاومة والتحرير في عموم الإقليم.

ولعل من أهم منجزات «غرفة العمليات المشتركة»، الوحدة الوطنية التي تشكلت حولها في الشارع الفلسطيني، والتي شملت السواد الأعظم من أبناء الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة عام 1948 وعام 1967 بالإضافة إلى فلسطينيي الشتات، وهذا ليس بالأمر الثانوي في الديناميكيات الصالحة لتأسيس وحدةٍ وطنيةٍ، فهو يدلّل على كون الإنجازات الميدانية في مواجهة الاحتلال مازالت العامل الأساس لدعم قيام وحدة صفٍ فلسطينيةٍ حقيقيةٍ ونافعةٍ.

نجد إذاً في التفاهمات الميدانية مساراً ناجعاً للوصول إلى الوحدة الوطنية يمكن التأسيس عليها، ويمكن بعد ذلك تطويرها لإنشاء جبهة تحرير شاملة، فالميدان يَفرز بين الوطني والمتخاذل إن لم نقُل العميل، ويُغلِّب أولوية المعركة على خلافات الحكم، وهذا هو المطلوب، حيث إن الفلسطينيين مازالوا يعيشون مرحلة التحرير، وبعد ذلك فليخوضوا في خلافات الحكم كما يشاؤون.

في مثل هذه الوحدة الوطنية، يكون لدى كل الفصائل في الساحة الفلسطينية خيار اللحاق بركْب التحرير، وإلا تجاوزهم الزمن كما تجاوز غيرهم في تجارب شعوبٍ أخرى خاضت معركة التحرير.

وأخيراً، من نافلة القول إن المحازبين كأفراد هم أيضاً مخيَّرون كما الفصائل التي ينتمون إليها، إما بين اللحاق بركْب التحرير وإما بين الإصرار على الاستمرار في جريمة التخابر مع العدو المسماة زوراً «التنسيق الأمني»، وحينها لا ملامة إن نُعتوا بما يستحقون وعوملوا على أساسه.

«كاتب وباحث سياسي

على الغلاف

السعودية في «ما بعد الدولة»
السير حيث ينتهي الأفق

فواد إبراهيم

بات في حُكم الحتمي في السياسة الخارجية السعودية، التمييز النوعي بين التكتيكي، المُتاح للتداول والتناول العام؛ والاستراتيجي، المؤجَّل عقلياً وأرشيفياً. ذلك أنّ ثمّة عدمية سياسية تجعل كلّ شيء خاضعاً للتبدّل والزوال، والبدء من نقطة اللاعودة، أو من حيث لا أفق. السياسة العملية تُطيع المواقف، وتمشي بدأ بيد مع المتغيّر اليومي، وإن سقطت في الخطأ الدائم، عطفاً على تماهي الصواب والخطأ مع متناقضات المواقف إزاء ملفّات ساخنة. في السياسة الخارجية، كما في بقيّة حقول السياسة الأخرى، لا ضابطة أخلاقية ولا حتى سياسية، أو حتى ميتافيزيقية (إن كان لا يزال هناك مَن يجد فيها سلوة لإلباس مواقفه بها والتسامي على معيارية التحاكم العقلاني). يمكن أن تفسّر طبيعة التقلّبات بكلّ أشكالها العبثية، وغالباً المثيرة للسخرية، العداوة والصداقة ليستا قيمتَين أخلاقيتَين في السياسة، منذ اندغامهما في لعبة المصالح، ولكن في المسرح الخليجي بثّنا لعبة كراسي هابطة، تجعل حليف الأمس عدوّ اليوم، والعكس صحيح، من دون الاتّكال على الزمن في تثبيت التحالفات وانفضاضها، لأنّ الزمن السياسي لا يسير بحسب مقاييس الزمن الطبيعي.

على الرغم من أن خارطة التحالفات لا تخضع للحدّ الساذج، أو التخمينات المنحازة، فإن المواكبة الدقيقة لمسار الخطيئة، على الأقلّ في سنوات عهد سلمان، بكلّ إخفاقاته المقصودة أو شبه المقصودة، أي الناجمة عن رهانات ارتجالية ومراهقة، يشي بما لا يدع مجالاً للريب بالخلل الجَوّاني، أي في بنية وعي الفريق المسؤول عن إدارة السياسة الخارجية. ليس نادراً في تاريخ المملكة السعودية أن يكون للعامل الخارجي حضور مركزي، بما يجعل من السياسة استجابة خارجية محضة، أي متولّدة من متغيّرات خارج الحدود. ولكن هذه المرّة، يبدو الخارج كما لو أنه الفيصل العلني، الواضح، والجلي، يعكس ذلك وهناً بنيوياً خطيراً في النظام السياسي السعودي، الذي خسر في عهد سلمان مصادر قوّته وحتى مشروعيّته: العائلة المالكة، المؤسّسة الدينية، التحالفات القبلية (النجدية)، طبقة التجّار والعوائل التجارية القليدية.

قدرة الرياض على التنقيب عن أصدقاء دائمين تُضعف مع الأيام، على عدّة مستويات وفي غير اتّجاه؛ أوّلاً من أجل كسب الرضى الأميركي الذي يهدّد افتقاده بضياع سنوات من جهود احتكار السلطة وضرب المنافسين عليها، وثانياً في سبيل الخروج من المعارك الفاشلة التي كبّدته كثيراً من أمواله ورصيده وسمعته ونفوذ بلاده من دون أن يجني منها شيئاً. في هذا السياق تحديداً، يمكن فهم كلّ ما قام به في الأشهر الأخيرة، من توجيهه بتزخيم نشاط اللوبيات التابعة له على أراضي الحليف الأميركي بهدف استمالة إدارة جو بايدن الواقعة في مأزق كيفية التعامل معه - وإن كانت وثاقة الصلات البنيوية بين الطرفَين تُصعّب توقّع أيّ افتراق دراماتيكي -، مروراً بطيّه صفحة مقاطعة قطر، وليس انتهاءً برفعه البطاقة الحمراء في وجه "صديقه الصدوق" محمد بن زايد، وتدشينه سياسة الإقلاع عن مناكفة "الشقيق" الغُماني، بل وطلب تدخّله لتحصيل "الضمانات" اللازمة لإنهاء الحرب على اليمن، والتي تشكّل بنداً أوّل، وربّما وحيداً، على أجندة محادثاته مع الإيرانيين. في خضمّ كلّ ذلك، يبقى الثابت أن لا ثابت في سياسات "ما بعد الدولة" في السعودية، وأن استعجال التسويات ومحو آثار الخطايا الفادحة يكادان يشكّلان خصائص ملازمة للعهد "السلماني"، الذي يبدو أنه لا يزال يسير حيث ينتهي الأفق

(أ ف ب)

ولا شكّ في أن الحلفاء قبل الأعداء قد أعدّوا أنفسهم ليوم تتقلّب فيه التحالفات والمصالح. فالإماراتي، قبل القطري، أدرك مبكراً أن التوازن الحاذق المحمول على ديناميات سياسية واقتصادية وأمنية، يتغذّى على تشابكات اللحظة، وأن كلّ ما هو بعيد المدى يقع خارج حسابات الطرفين المتصادقَين بحكم الضرورة المؤقّتة، والتي ترسم وحدها خطّ سير التضامن السياسي، وليس الإخلاقي، لبعض الوقت. فالتقارب والتدابر في شبكة التحالفات لا يعكسان تبدّلاً في الشبكة المفاهيمية، وذلك ببساطة لأن ردود الأفعال وليس الأفعال الابتكارية والخلّاقة هي التي تدير دولاب السياسة. في العهود السابقة، ولاسيما منذ 1970 وحتى 2015، كانت السياسة الخارجية السعودية تميل أكثر فأكثر نحو "الانسجام النسبي" في التعاطي مع ملفّات إقليمية وحتى دولية، وتأكيد المحورية السعودية في النطاق الإقليمي، وإلى حدّ ما الدولي. التغيّر في عهد سلمان ذو صلة بالتحوّلات الاقتصادية (من الريعي إلى النيوليبرالية في شكلها الصدموي)، ولكن هذا ليس وحده العامل المسؤول عن التقلّبات المباغتة و(البهلوانية) في السياسة الخارجية. ما قد يتمظهر كنموذج "ما بعد الدولة" عن طريق قذف الجهاز البيروقراطي التقليدي إلى الهامش، وصُنع جهاز آخر موازٍ يضطلع وظيفياً بكلّ أدوار الدولة، مؤلَّف من مجلسَين: واحد للشؤون السياسية والأمنية وآخر للشؤون الاقتصادية والتنمية، ويضمّ أعضاء مجلس الوزراء، لا يقضي إلى تجديد الدماء في الجسد الدولتي، وإنما يؤسّس لنظام أوتوقراطي فريد، ويجعل الدولة بكامل حمولتها رهن إشارة "الحاكم بأمره".

لم يحدث أدنى تغيير في رؤية الملوك السعوديين للسلطة، ولا للمجتمع. فلا تزال السلطة، في صميم عقيدة آل سعود على تعدّد أجنحتهم، امتيازاً حصرياً لهم؛ ولا يزال المجتمع، في صلب تلك العقيدة، أشتاتاً من رعايا جرى قهرهم بقوّة السيف. هذه الرؤية كفيلة بتفسير لماذا يكون كلّ ما له صلة بالدولة شأناً خاصاً وعائلياً، لأن السياسة، في هذا البلد، ليست شأناً عاماً، كما في الدول المكتملة التكوين، أي التي توافرت على شروط الدولة الوطنية. وعليه، فإن السياسة الخارجية تُصنع في القصر وليس في مبنى وزارة الخارجية، والوزير نفسه يتلقّى توجيهاته من الديوان، أي من خارج الملاك البيروقراطي/ الإداري، أي مجلس الوزراء، المعنيّ برسم السياسات، وصُنع القرارات، وإصدار التعليمات. أزمة التمثيل، ومنتجها أزمة الهوية، خاصية لصيقة بالنظام السعودي، وإن اتّسمت بها الأنظمة الشمولية عامة. ظلّ الملك على الدوام القوّة الحاسمة في أيّ قرار يكتسب الصفة السيادية، ولكنه كان يحتكم في ما مضى، ويملء حدسه الذاتي، إلى توازنات القوى داخل العائلة وحسابات الأجنحة المتنافسة أو المتصارعة أو حتى المتحالفة، وكان "مجلس العائلة" المرجعية الناظمة للخلافات والتسويات، وهذا ما بدا غائباً بصورة شبه كاملة في عهد سلمان، الذي عطّل الإجماع العائلي، وقوّض الروح الدينية للدولة، بعزل الجماعة الوهابية المعتبَرة تاريخياً بتوفير وصْفة المشروعية الأيديولوجية للمملكة السعودية.

ما علاقة ذلك كلّه بالسياسة الخارجية السعودية؟

إن التفرّد الاحتكاري بالسلطة لا يقوّض فقط أسس الإجماع العائلي - الذي هو ثمرة تسويات راسخة وعميقة الجذور - إزاء ملفّات داخلية وخارجية، بل ينطوي على تهديد جدّي للوجود الكياني. وإن هذه النزعة، بطابعها الانفعالي، تجعل السياسة الخارجية ميداناً للتجارب، الفاشلة غالباً، وتحيل المفاهيم الأساسية التي تتصوّرها وزارة الخارجية، والوزير نفسه يفهمها الفاعل السياسي المحترف، إلى مجرّد "يوتوبيات" سخيفة. في حقيقة الأمر، إن الدولة والمجتمع كاهمٌ مكوّنَين في العقد الاجتماعي، باتا خارج المعادلة، وأصبحت "قوّة الشخصية" البديل الوظيفي، في ما يشبه استعادةً لواحدةٍ من النظريات السياسية القروسطية. لكن يحلو لفريق "المطبّلين" إضفاء صفات فوق بشرية على ابن سلمان، في سياق تبرير تكديس السلطة واختزالها المطلق في شخصه.

في التداعيات، بات على الشعب أن يكون مستعدّاً، على الدوام، لتقلّبات السياسة، لارتباطها الوثيق بالمزاج الشخصي للأمير، ولتقبّل التموضعات المتبدّلة دراماتيكياً في الخصومة والعداوة. وعلى الحدود السعودية - الإماراتية، تَظهَر، جزئياً، بجهود سعودية واسعة النطاق لمنع شيوخ دبي من الحصول على قرض بقيمة 34 مليار دولار لإنعاش اقتصادها المأزوم. وتجدّد الخلاف في 2009 حول مقرّ "البنك المركزي الخليجي"، الذي كانت الإمارات تستثمر كلّ نفوذها ليكون على أراضيها، ولكن "الشقيقة الكبرى" تحايلت على المشروع ليكون في الرياض، ومعه كلّ مؤسّسات "مجلس التعاون" بدلاً من توزيعها على بقيّة الدول الأعضاء. نقلت صحيفة "القدس العربي" اللندنية، في 15 أيار 2009، عن مسؤول إماراتي استغرابه من إصرار السعودية على وجود مقرّات معظم مؤسّسات "مجلس التعاون" في الرياض، مقارناً ذلك بتجربة الاتحاد الأوروبي واختياره بلجيكا، الدولة الأصغر التي تحتلّ مكاناً وسطاً، لتكون مقرّ الاتحاد، وتوزيع المؤسّسات الأخرى، من مثل مقرّ البرلمان الأوروبي، على دول أصغر كلوكسمبورغ، بينما لا توجد أيّ مقارّ في دول عظمى مثل بريطانيا (قبل بريكست) أو إيطاليا. أمّا الإمارات، بحسب قوله، فلا يوجد فيها مقرّ أي من العشرين مؤسّسة تابعة لـ"مجلس التعاون"، ما جعلها تشعر بالغبن، خاصة وأنها أوّل دولة تقدّمت بطلب إلى المجلس لاستضافة المقرّ على أراضيها في عام 2004، بينما السعودية تقدّمت بطلبها عام 2008. وفي ترضية ماكرة، عرضت الرياض على أبو ظبي أن يكون محافظ البنك المركزي منها، ما اعتبرته الأخيرة مسألة تافهة، لأن هناك اتفاقاً بين دول "مجلس التعاون" على أن يكون المحافظ بالتناوب بين الدول الأعضاء، مع أن القرارات يجب أن تُتّخذ بالإجماع، وهو ما لم يحدث في شأن مقرّ البنك، الأمر الذي أزعج الإماراتيين وحملهم على عدم المشاركة في مشروع العملة الموحّدة، بعدما كانت سلطنة عمان اتّخذت قراراً مبكراً بعدم الانضمام إلى هذا المشروع، لتغيب كلتا الدولتَين عن توقيع "اتفاقية الوحدة النقدية" في الرياض في 7 حزيران 2009.

دخول الإمارات في حلبة الخلاف مع السعودية، من البوّابة الاقتصادية (والنفطية على نحو التمويه)، مع تبريد مؤقّت لجبهات الخلاف السعودي - العماني، والسعودي - القطري، والسعودي - الكويتي، يشي بجولة خلافات من نوع آخر، وتالياً تبدّلات في شبكة التحالفات الخليجية. ولْنتذكّر دائماً أن "أوبك+"، وهو في صميمه خلاف حول الحصص، التي بها يتحدّد العرض والطلب، وتالياً السعر.

سجّل الخلافات السعودية - الخليجية حافل وقديم. ثمّة خلافات حدودية بين المملكة وبين كلّ دول "مجلس التعاون". وهي كانت خاضت صراعاً مسلّحاً مع قطر في أواخر أيلول 1992، ودخلت في مواجهات سياسية وأمنية مع الكويت في أكثر من مرّة حول ما يُعرف بـ"المنطقة المحايدة" المتنازَع عليها وذات الصلة بالحقوق النفطية، وبقيت سلطنة عمان (قبل الانفتاح الأخير المعطوف على الأزمة مع الإمارات) في حالة قلق إزاء مخطّطات سعودية لقلْب نظام الحكم بالتواطؤ مع الإمارات. الخلاف الإماراتي - السعودي عميق، بدأ بالملفّ الحدودي حول واحة البريمي التي بقيت عالقة، على الرغم من الرشوة السخيّة التي قدّمها الملك عبد العزيز لحاكم أبو ظبي حينذاك، الشيخ زايد آل نهيان، والد الحاكم الحالي، والتي قُدّرت بنحو 50 مليون دولار. ولعلّ من غرائب سرديات التاريخ السياسي في الخليج، أن تكون بريطانيا هي الطرف المفاوض مع عبد العزيز نيابة عن حاكم أبو ظبي. الاتفاقية الحدودية التي وُقّعت في خريف 1974، لم تضع نهاية حاسمة للخلاف السعودي - الإماراتي، لينتقل الخلاف من البرّ إلى البحر، بعد احتلال السعودية الشريط الساحلي البرّي الموصل بين قطر والإمارات، ويمتدّ الصراع إلى الحيّز البحري بين البلدين، ما عطّل مشاريع قطرية - إماراتية مشتركة، بينها جسر بحري أريد منه تجاوز الشريط البرّي المحتلّ سعودياً.

الخلاف المكتوم حول آبار نفطية على الحدود السعودية - الإماراتية، تَظهَر، جزئياً، بجهود سعودية واسعة النطاق لمنع شيوخ دبي من الحصول على قرض بقيمة 34 مليار دولار لإنعاش اقتصادها المأزوم. وتجدّد الخلاف في 2009 حول مقرّ "البنك المركزي الخليجي"، الذي كانت الإمارات تستثمر كلّ نفوذها ليكون على أراضيها، ولكن "الشقيقة الكبرى" تحايلت على المشروع ليكون في الرياض، ومعه كلّ مؤسّسات "مجلس التعاون" بدلاً من توزيعها على بقيّة الدول الأعضاء. نقلت صحيفة "القدس العربي" اللندنية، في 15 أيار 2009، عن مسؤول إماراتي استغرابه من إصرار السعودية على وجود مقرّات معظم مؤسّسات "مجلس التعاون" في الرياض، مقارناً ذلك بتجربة الاتحاد الأوروبي واختياره بلجيكا، الدولة الأصغر التي تحتلّ مكاناً وسطاً، لتكون مقرّ الاتحاد، وتوزيع المؤسّسات الأخرى، من مثل مقرّ البرلمان الأوروبي، على دول أصغر كلوكسمبورغ، بينما لا توجد أيّ مقارّ في دول عظمى مثل بريطانيا (قبل بريكست) أو إيطاليا. أمّا الإمارات، بحسب قوله، فلا يوجد فيها مقرّ أي من العشرين مؤسّسة تابعة لـ"مجلس التعاون"، ما جعلها تشعر بالغبن، خاصة وأنها أوّل دولة تقدّمت بطلب إلى المجلس لاستضافة المقرّ على أراضيها في عام 2004، بينما السعودية تقدّمت بطلبها عام 2008. وفي ترضية ماكرة، عرضت الرياض على أبو ظبي أن يكون محافظ البنك المركزي منها، ما اعتبرته الأخيرة مسألة تافهة، لأن هناك اتفاقاً بين دول "مجلس التعاون" على أن يكون المحافظ بالتناوب بين الدول الأعضاء، مع أن القرارات يجب أن تُتّخذ بالإجماع، وهو ما لم يحدث في شأن مقرّ البنك، الأمر الذي أزعج الإماراتيين وحملهم على عدم

> **بات على الشعب أن يكون مستعدّاً على الدوام لتقلّبات السياسة لارتباطها الوثيق بالمزاج الشخصي للأمير**

هذه الدول على الأقدر على تقديم التسهيلات السوقية، في مسار تأبيد معادلة التاجر/ الزبون، المنتِج/ المستهلك، السيّد/ العبد. كان سجال الكواليس والمجالس الخاصة داخل إطار "مجلس التعاون الخليجي" يتمحور حول مَن يجلب أكثر من الأجانب، شركات ومستثمرين، وكان العمل دائماً على تحويل دول الخليج إلى منصّات عالية الكفاءة وأسواق للبضائع الأجنبية وممرّات لانتقالها إلى الأسواق الأخرى. جرى العمل منذ ما بعد حرب الخليج الثانية على إبرام اتفاقيات تجارة حرّة ثنائية الطابع بين دول الخليج والولايات المتحدة، تُستكمل حالياً عبر احتضان الشركات الأميركية في الأسواق الخليجية بلا قيد أو شرط.

يُذكَر قرار ابن سلمان بإلزام الشركات فتح مقارّ إقليمية في السعودية كشرط للعمل في أسواقها، بالخلاف المحتدم حول "البنك الخليجي" و"العملة الخليجية الموحّدة" و"التجارة البينية الخليجية" و"الهوية الخليجية الموحّدة"، وما رافقه من جدل حول الخارطة المرسومة على البطاقة الإماراتية، والمشتملة منطقة حدودية متنازَعاً عليها، وما أعقب ذلك من إجراءات عقابية، بخنق الإمارات برّياً عبر منْع شاحناتها من دخول الأسواق السعودية في أيار 2009. في إرث الذرائع السعودية ما يصلح للاستخدام تجربة منْع الشاحنات اللبنانية من الوصول إلى أسواق السعودية. فقد برّرت الأخيرة تشدّدها مع الإمارات حينذاك بتهريب مخدّرات عبر الشاحنات إلى المملكة، حسبما أعلن محمد خليفة المهيري، المدير العام للجمارك الإماراتية، مؤكّداً أن "الجانب السعودي لم يقدّم أدلّة على تلك المزاعم". مهما يكن، لا تُقدّم السعودية ذرائعها لإقناع أحد بقرارات ليست من سنخ الموضوع المختَلف عليه، بل لتقول نحن هنا الأقوى.

أمام الحركة المتسارعة للحوادث، لا تتسنّى للكثيرين مواكبة التحوّلات الخاطفة التي تشهدها المنطقة والعالم، في ظلّ احتجاب كثير من الحقائق وراء الغمامة الإعلامية المرافقة لجائحة "كورونا"، على الرغم من أن سؤال الوُجهة الافتراضية للمملكة في المرحلة المقبلة سوف يكون حاضراً، لمعرفة الرهانات المحتملة لدى صانع القرار. من دون شكّ، إن انفضاض التحالف العابر الذي تشكّل على نحو هزلي في عهد الرئيس الأميركي السابق، دونالد ترمب، أي السعودية والإمارات والبحرين ومصر، بقيادة الكيان الإسرائيلي وبرعاية أميركية، قد وضع نهاية لمبرّرات وجوده، وعلى الجميع تدبّر أمره، بحسب اشتراطات إدارة جو بايدن. لم يكن "مجلس التعاون الخليجي" بهذا القدر من السوء كما هو عليه اليوم. يرجع ذلك إلى سبب رئيس، أن "حلّال المشاكل" غائب، وأن من يُصنَّفون بالحكماء قد رحلوا، وبات الاحتكام إلى ما يشبه قواعد سوق الأوراق المالية، ولكن بلا ضوابط للاستقرار السعري. هذا ما كشف عنه السجال المحموم بين الإمارات والسعودية حول آلية الإنتاج النفطي في

لم تشهد العلاقات السعودية - العمانية تطوّراً إيجابياً إلى حين نشوب الخلاف الإماراتي - السعودي (أ ف ب)

> **ما يشغل بال ابن سلمان فقط هو حرب اليمن، التي يريد نهاية مريحة منها، وبما يخرجه من مستنقعها بأقلّ الخسائر**

السعودية لم تعتدّ على العزف المنفرد، ودائماً ما كانت تُراهن على العمل الجبهوي/ المشترك. لم يكن لقاء ابن سلمان بالرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، في شرم الشيخ، في 11 حزيران الماضي روتينياً، في ظلّ عمل مصري دؤوب لبناء تحالفات عربية (العراق والأردن)، وترتيم العلاقة مع كلّ من سوريا وفلسطين ولبنان، والانفتاح الحذر على تركيا وباكستان، وصولاً إلى الصين. اجتراح مصر لمسار مستقلّ في علاقاتها العربية والإقليمية، يُقدّم على الفور مخاوف راكدة في المخيّلة السعودية. وهو ما تعزّز مع التطوّر المفاجئ بعد معركة "سيف القدس"، حيث شكّل دوران الجليد بين القاهرة وواشنطن حافزاً للرياض لتجديد التقارب مع القاهرة، المستهدَفة في مشاريع السعودية الاقتصادية/ السياحية، خسارة مصر، في المنظور السعودي، فادحة، بل كارثية، لأن ذلك يجعلها محوراً قائماً بذاته، فيما تسعى المملكة إلى إطالة عمر "الحقبة السعودية"، وإلى ما لا نهاية.

في كانون الأول 2016، قام الملك سلمان بجولة خليجية بدأها بالإمارات، ثمّ قطر والبحرين، وأخيراً الكويت، حيث انعقدت قمّة "مجلس التعاون الخليجي". وتجاهل سلطنة عمان. حينذاك، تُوّجت المفاوضات الإيرانية - الأميركية برعاية عمانية باتفاق نووي برعاية أممية، ما أثار غضب الرياض، التي شعرت بـ"الخديعة"، لإخفاء خبر المداولات عنها. بقي الخلاف على حاله مع السلطنة، حتى وفاة السلطان السابق قابوس بن سعيد. وحتى بعد اعتلاء سلطان آخر، هيثم البوسعيدي (تولّى الحُكم في 11 كانون الثاني 2020)، لم تشهد العلاقات السعودية - العمانية تطوّراً إيجابياً لافتاً، إلى حين نشوب الخلاف الإماراتي - السعودي، حيث بادرت الرياض إلى لعبتها المفضّلة في تثمير التناقضات (باكستان/ الهند، تركيا/ اليونان، وأخيراً الإمارات/ عُمان). المنفذ الحدودي بين البلدين، والمُغلق بقرار سعودي منذ سنوات طويلة، أصبح فجأة جاهزاً للاستعمال، ومعه زيادة وتيرة التعاون الاقتصادي، و"أهمية التعاون والتعامل بشكل جدّي وفعّال مع الملفّ النووي والصاروخي الإيراني... ومواصلة الجهود لإيجاد حلّ سياسي شامل للأزمة اليمنية... والتعاون لدعم استقرار الأسواق البترولية"، بحسب البيان المشترك بين الجانبين في ختام زيارة قام بها سلطان عمان إلى السعودية في 11 تموز الجاري. بطبيعة الحال، ليس كلّ مضمون البيان المشترك يعبّر عن الموقف العماني، ولاسيما في ما يرتبط بالمبادرات المتعلّقة بوقف الحرب على اليمن، أو حتى صواريخ إيران الباليستية. وفي نهاية المطاف، هو بيان سعودي بامتياز، وقد اعتادت دول الخليج على مثل هذه البيانات الفارغة.

إقليمياً، لم يكن اختياراً عشوائياً توقيت السعودية لانفتاحها على إيران. قرّرت الرياض، في وقت مبكر، المسعى الأميركي للعودة إلى الاتفاق النووي، وعلى وجه التحديد منذ أواخر عهد ترامب. وساطات سابقة من أطراف عراقية وباكستانية وحتى عُمانية لم يُكتب لها النجاح، ولم تكن الشروط قد نضجت حينئذ، إلى حين وصول بايدن إلى البيت الأبيض، وتسارُع الخُطى نحو إحياء الاتفاق النووي. وفي هذه المرّة، أرادت السعودية الحضور المبكر في الزكب، للحيلولة دون حصول مفاجآت غير سارّة. وبقي السؤال الدائم: هل التحرّك السعودي محكوم بحسابات واعتبارات محلّية وإقليمية، أم مدفوع بهواجس أميركية المنشأ؟ الأكيد أن لا ملفّات استراتيجية في الحوار السعودي - الإيراني، وأن ما يشغل بال ابن سلمان فقط هو حرب اليمن، التي يريد نهاية مريحة منها، وبما يخرجه من مستنقعها بأقلّ الخسائر، المعنوية بدرجة أولى.

تقليل الخسائر، ومحو آثار الخطايا الفادحة، والتسويات المستعجلة، والرهانات العابرة، تبدو كما لو أنها خصائص العهد "السلماني" في السياسة الخارجية. فما تتخيّله ثابتاً في علاقاتها، قد يكون من بين المتغيّرات السريعة. فالسياسة في السعودية أصبحت، في عهد سلمان، لعبة هواة، والتجربة والخطأ لا يقدّمان دروساً للتعلّم بقدر ما يعيدان إنتاج ما اصطلح عليه جان بيير دوبوي "الكارثية المستنيرة"، ولكن بأشكال جديدة، كما تبدو في تجدّد التوترات في العلاقات البينية، والتنكّب من ميدان إلى آخر.

مصالحة عُمان نموذجاً: جرّبْنا المناكفة... فلْنجرّب غيرها

لقمان عبد الله

منذ تولّي السلطان هيثم بن طارق مقاليد الحُكم في سلطنة عمان بداية العام الجاري، تغيّرت الكثير من المعادلات التي كانت تَحكم في السابق علاقات السلطنة مع السعودية، خصوصاً في شأن الصراع على النفوذ في اليمن. إذ أتاح تولّي ابن طارق إدارة الموقع الأوّل في عُمان، للمملكة، إجراء مراجعة للعلاقات الثنائية، والتمهيد للقطع مع الماضي بما يحمله من ترسّبات وشوائب، وبدء مرحلة جديدة عنوانها تعزيز مساحة المصالح المشتركة، بعدما ظلّت السلطنة تُتّهم لسنوات من قِبَل نظيراتها في "مجلس التعاون الخليجي" بأنها خرجت عن "الإجماع الخليجي" بسبب وقوفها على الحياد في الحرب على اليمن. هذا السياق، ليست زيارة ابن طارق الأخيرة إلى السعودية، والتي ستبقى تُطلَّل الأحداث لشهور قادمة، منفصلة منه. ولئن ركّزت التحليلات على ربطها بالتوتّر المستجدّ بين الرياض وأبو ظبي، إلّا أن خبراء مطّلعين يضعونها أيضاً في إطار المراجعة الشاملة التي عكفت عليها السعودية لعلاقاتها الخارجية، على خلفية بحْثها عن مخرج من المستنقع اليمني، والتي أفضت إلى الإقلاع عن سياسة مناكفة "الشقيق" الغُماني وتقويض نفوذه في المحافظات اليمنية المجاورة له، ولا سيما في المهرة. على أن الخبراء لا يحصرون المراجعة السعودية في إجراء المصالحات ومن ثمّ تطوير العلاقات مع بعض الأطراف، كما حصل مع الدوحة ومسقط، أو في التحلّل من التحالفات السابقة كما يبدو أنه يحصل مع الإمارات، بل إن المملكة تسعى إلى إزالة بواعث الخصومة مع جميع الدول التي تربطها علاقات استراتيجية وحيوية بإيران. ومن هنا، تُحاول السعودية مدّ الجسور، سواءً بشكل مُعلَن أو غير مُعلَن، مع كلّ من دمشق وبغداد، فضلاً عن الحوار المباشر الجاري بينها وبين طهران في العاصمة العراقية، حيث يتركّز

البحث على الملفّ اليمني.

وبالعودة إلى مسقط، قد يُمثّل توثيق العلاقة بينها وبين الرياض، هديّة اقتصادية للأولى التي تُكافح لتنويع مصادرها بعيداً من النفط. وفي المقابل، يبدو أن الجانب العُماني بدأ يأخذ المخاوف على محمل الجدّ، مُحاولاً حدّ قيادة صنعاء، وكذلك الأطراف الصديقة، على تقديم ضمانات تراها المملكة ضرورية لها، خصوصاً بعدما وقف بنفسه على عمق الأزمة السعودية في اليمن، والتي لم يكن، على ما يظهر، مدركاً تعقيداتها كافّة. وعليه، ليس من قبيل الصدفة أن يتمّ إيقاف الاعتصام الذي كان يُنظّم أسبوعياً في المهرة، احتجاجاً على التدخّلات السعودية في المحافظة، واحتلالها المنافذ البرّية والبحرية والجوّية فيها. صحيح أن "قمّة العلا" التي انعقدت بداية العام الجاري، ودشّنت المصالحة بين السعودية وقطر، ساهمت في توقّف حركة الاحتجاجات الشعبية الرافضة للاحتلال السعودي، ولا سيما أن القيادة الميدانية للاعتصام كانت تتلقّى تمويلاً من الدوحة، لكن العامل الآخر، الذي لا يقلّ أهمّية عن الأوّل، في قطع سبحة تلك الحركة، هو تقلّد ابن طارق مقاليد الحُكم في عُمان.

على الغلاف

لا «ورود» على طريق «الخلافة»: لماذا لم يُعلن ابن سلمان ملكاً بعد؟

حسين إبراهيم

لم يَعُد الملك سلمان، عملياً، قادراً على أداء مهامّ كثيرة. صحيح أن أخبار صحّته قليلة، وعُرضة للتحريف، سواءً من قِبَل مُحبّيه أو كارهيه، لكن ظهوره العلني صار نادراً، وإذا فعل، فللصورة فقط، خلال استقبال ما، أو اجتماع ما، عن بُعد، لمجلس الوزراء، أو على الأكثر لتوقيع وثائق، ثمّ ينسحب خارج المشهد كلياً. هكذا كانت الحال خلال الزيارة الأخيرة لسلطان عمان، هيثم بن طارق، الذي شارك الملكَ في استقباله، ثمّ اختفى طوال وقائع الزيارة. منذ لحظة تولّيه ولاية العهد في حزيران 2017، أصبح محمد بن سلمان حاكماً فعلياً للمملكة. وسواءً كان ذلك برضى الوالد البالغ

> السعودية لن تعود كما كانت، لا في دورها، ولا في استقرارها الذي لطالما ارتبط باستقرار الحُكم

من العمر حالياً 86 عاماً، أم نتيجة عجزه المتدرّج، قام ابنه تدريجياً بالإمساك بكلّ أدوات الحُكم، وأبعد كلّ منافسيه في الداخل، وبدأ جهداً للحصول على تزكية إدارة جو بايدن، بعد فقدانه الدعم الأميركي المطلق بخسارة دونالد ترامب الانتخابات، وهي النقطة الوحيدة الضرورية لتولّيه العرش، والتي لم يُحقّق تقدّماً حاسماً فيها بعد. ولذا، عمد أخيراً إلى تمويل حملة كبرى عبر جماعات الضغط في واشنطن لتحسين صورته المطلّخة هناك.

آخر الأخبار الرسمية حول صحّة الملك سلمان هي خضوعه لعملية جراحية بالمنظار لاستئصال المرارة في مستشفى الملك فيصل في الرياض، في نهاية تموز من العام 2020، ثمّ تلقّيه الجرعة الأولى من لقاح "كورونا" في كانون الثاني الماضي. ويفيد موقع "تاكتيكال ريبورت" بأن سلمان أصرّ على المشاركة في أداء صلاة عيد الفطر في أبار الفائت في مدينة "نيوم"، على رغم تعليمات فريقه الطبّي ووليّ العهد القاضية بتنفيذ إجراءات تحدّ من اتّصالاته المباشرة مع أفراد أسرة آل سعود والمسؤولين الآخرين، بسبب جائحة "كورونا". لكن، ما دام الملك قد اختار خَلَفه وأصبح شبه عاجز، فلماذا لا ينظّم هو وابنه الذي اختاره خَلَفاً له، عملية الوراثة في حياة الأوّل، بدل المخاطرة بمرحلة انتقالية تَعقّب وفاته، إلى أن تجتمع هيئة البيعة وتبايع ملكاً جديداً، حتى لو كانت أياماً أو ساعات؟ هل ابن سلمان مطمئنّ إلى انعدام احتمال قيام قوّة عسكرية موالية لأحد منافسيه من أمثال محمد بن نايف أو أحمد بن عبد العزيز، بدعم من أفراد آخرين في الأسرة ممّن يعارضون وليّ العهد، بتنفيذ انقلاب عليه خلال تلك المرحلة الانتقالية؟ أم أنه يخشى أن يتّهمه المناوئون له في الداخل والخارج بتنفيذ انقلاب على أبيه، ممّا سيعطي هؤلاء أسباباً إضافية للطعن في شرعيّته؟

مهما كانت الأسباب الداخلية لعدم قطع الأمتار الأخيرة في مسيرة الخلافة، فإن غياب الرعاية الأميركية، الضرورية لكلّ عملية انتقالية في الخليج، وأماكن كثيرة أخرى، يعني أن وراثة عرش سلمان غير ناضجة تماماً بعد، وإن كان الأميركيون قد أعطوا مؤشّرات علنية إلى أنهم سيسلّمون بتولّي ابن سلمان المُلك، واقاموا علاقات مع نظامه لا تشمل حتى هذه اللحظة، علاقة شخصية أو اتصالات مباشرة له مع الرئيس جو بايدن، كما لم يحدّدوا على لسان أيّ منهم، إلى الآن، موقفاً واضحاً من مسألة ما إذا كان بايدن سيبقى على قراره هذا، أم أنه سيتراجع عنه حين يصبح وليّ العهد ملكاً. وعلى رغم أن بايدن نفسه أقرّ بأن ابن سلمان هو القائم بأعمال الملك، في مقابلة مع محطة "إي بي سي نيوز" الأميركية في آذار الماضي، غير أنه لم يأتِ على ذكر مستقبل علاقته الشخصية به في حال وفاة الملك. وحين سُئل عن استثناء وليّ العهد من العقوبات التي فُرضت على قتلة جمال خاشقجي، قال: "لقد حاسبنا كلّ أعضاء تلك المنظمة (فرقة النمر)، باستثناء ولي العهد، لأننا لم نصل أبداً، على حدّ علمي، عندما يكون لدينا تحالف مع بلد ما، إلى معاقبة القائم بأعمال رئيس ذلك البلد، ونبذه". لا يتعلّق الأمر فقط بالعلاقة الشخصية بين بايدن وابن سلمان، بل يتعدّاه إلى مجمل العلاقات السعودية - الأميركية التي صارت في السنوات العشرين الأخيرة، تنطوي على تعقيدات كثيرة، ولعلّها أضحت من أكثر مواضيع السياسة الخارجية إثارة للجدل في أميركا، حيث تجري حولها جلسات استماع دائمة في الكونغرس. هكذا، ظلّت السعودية حليفاً بمعنًى ما، بفضل دورها الجيوسياسي في الشرق الأوسط وقدرتها على التحكّم بإمدادات النفط وأسعاره. ولكنها أصبحت "عدوّاً" بمعنى آخر: لقد باتت مكروهة.

لن تكون عملية انتقال السلطة في السعودية سهلة، سواء حصلت غداً أو انتظرت وفاة الملك (أ ف ب)

قبل ذلك، اظهرت واشنطن، بوضوح، أنها معنيّة بتغيير "الطبيعة المتزمّتة" للمجتمع السعودي. وهذا ما يبدو أن ابن سلمان التقطه سريعاً، فأطلق عملية تحويل جذرية لمجتمعه، بمساعدة مستشارين من مثل تركي آل الشيخ، الذي ينتمي إلى العائلة التي تُخرج المفتين في المملكة، والمتحدّرة من محمد بن عبد الوهاب. رسالة ابن سلمان إلى الأميركيين هي أن الوهابية نفسها قابلة للتغيير، قد يكون توكيل سليل الشيخ ابن عبد الوهاب بتنظيم حفلات الغناء و"الفرفشة" والرقص من خلال رئاسته "هيئة الترفيه"، محض صدفة. لكن رمزيته مغرية.

وابن سلمان كان قد بدأ تدريجياً هذه التغييرات، بإلغائه "هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، ثمّ سماحه للمرأة بقيادة السيارة، والخروج بلا محرم. لكن تلك الخطوات "التغييرية" على الصعيد الاجتماعي، ترافقت مع حدّ أقصى من القمع على المستوى السياسي، طاول أقرب حلفاء واشنطن من داخل الأسرة الحاكمة، وكان الغرض منه إبعاد المنافسين، مما عزّز اتجاهاً في الولايات المتحدة لتقديم نوع من الرعاية لمعارضة سعودية صارت تضمّ أفراداً كباراً من الأسرة ومنشقّين آخرين، بالتوازي مع علاقتها الثابتة مع الحكم، والتي تجاوزت عواصف "11 أيلول" و"الربيع العربي"، ولكنها اهتزّت فعلياً مع اهتزاز مؤسّسة الحكم في السعودية.

عودة السياسة التقليدية الأميركية مع بايدن، أدّت إلى مأزق حقيقي في شأن كيفية التعامل مع السعودية، خصوصاً حين أمر بنزع السرّية عن تقرير الاستخبارات الأميركية، الذي يتّهم ابن سلمان بجريمة قتل خاشقجي. قد يكون بايدن وضع العلاقات مع وليّ العهد على مسار ليس سهلاً التراجُع عنه؛ فكيف سيردّ على المترتّبين به إذا اتّهموه بالتعامل مع "قاتل"، في حال قرّر التعامل المباشر مع ابن سلمان بعد تولّيه المُلك؟ وفي المقابل، هل يمكن لرئيس أميركي أن يقاطع ملكاً سعودياً؟ لا سابقة لذلك، على حدّ قول بايدن نفسه. الآن في أميركا، يمكن لأقلّ عضو شاناً في الكونغرس، أن يسائل بشكل ما الإدارة عن العلاقة مع السعودية، وأن يطلق ما يشاء من النعوت على حكّام المملكة، وأن يعاير السعوديين بأنهم لولا الحماية الأميركية لكانوا الآن يتحدّثون الفارسية، مثلما فعل السيناتور ليندسي غراهام.

عملية انتقال السلطة في السعودية لن تكون سهلة، سواء حصلت غداً أو انتظرت وفاة الملك. وفي الغالب، ستترك آثاراً عميقة وطويلة المدى على الأسرة، مع الانتقال رسمياً إلى جيل الأحفاد. السعودية لن تعود كما كانت، لا في دورها، ولا في استقرارها الذي لطالما ارتبط باستقرار الحُكم، لاسيما وأن القدرة على شراء الصمت بالمال تراجعت، وأصبح السعوديون يدفعون ضرائب وأسعاراً مرتفعة للخدمات. التغيير بدأ فعلياً. ما هو غير معروف، المدى الذي سيصل إليه، وبأيّ قدر من الاضطراب.

ريما على خطّ بندر: المعركة الدائمة لإرضاء واشنطن

ملاك حمود

تشكّل مجموعات الضغط، "اللوبيات"، عاملاً رئيساً في توجيه السياسات الأميركية، الداخلية منها والخارجية، بعدما تحوّلت، على مدى قرنيْن، لتصبح في صميم صنع القرار السياسي. ممارسةً يعود تاريخها إلى القرن التاسع عشر، حيث بدأت من أروقة الكونغرس، إلى أن تطوّرت لتغدو مهنةً رسمية

> استعانت السعودية بـ16 شركة ضغط للمساعدة في تلميع صورتها في أعقاب فوز جو بايدن

مسجّلة لدى وزارة العدل، وباتت - مع الوقت - تمثّل صناعةً سياسية بذاتها، وقطاعاً زبائنياً خاصّاً لممارسة كلّ أشكال التأثير، خدمةً لمصالح أفراد، ومؤسسات، ودول، وأحزاب، ومنظمات، عبر وسائل يقع الإعلام ومتفرعاته، إلى جانب العلاقات العامة وتلك السياسية، في صلبها. على أن القرار السياسي النهائي، ولا سيما على مستوى السياسة الخارجية للولايات المتحدة، يتأثّر بعمقٍ بمجموعات الضغط والإعلام، ومن ورائهما المصالح المالية والاقتصادية.

لم تكن السعودية لـ"تنجو" لولا شركات الضغط التي تنتشر كالفطر في أرجاء الولايات الأميركية، ومراكز صنْع القرار. دائبةً، على مدى تاريخها المعاصر، الحفاظ على رضى الحليف الأميركي وحمايته، في مقابل بقائها أداة طيّعة تمثّل مصالحه في المنطقة. وإنْ كانت الأحوال على خير ما يرام إبّان عهد الإدارة السابقة، والتي سعت، على رغم معارضة الكونغرس، إلى حماية وليّ العهد السعودي، محمد بن سلمان، حتى في أحلك أيّامه التي أعقبت مقتل جمال خاشقجي، إلّا أن الأمور تبدّلت في ظلّ الولاية الحالية، ما اضطرّ المملكة للمسارعة إلى تزخيم نشاط اللوبيات التابعة لها، واللجوء إلى مجموعات ضغط محسوبة على الحزب الديمقراطي، للتأثير على سياسة إدارة جو بايدن، بعد انتكاسة خسارة دونالد ترامب في الانتخابات الرئاسية. فاستعانت بـ16 شركة ضغط للمساعدة في تعزيز العلاقات التجارية الأميركية - السعودية وتلميع صورة المملكة، بعدما تهشّمت في أعقاب اغتيال خاشقجي، حين أوقفت الكثير من هذه الشركات تعاملاتها، موقّتاً، مع الرياض. ومع ذلك، لم تعلّق الرياض أعمالها مع الشركات المحسوبة على الحزب الجمهوري، إذ وقّعت السفارة السعودية في واشنطن، قبل الانتخابات الرئاسية، عقداً بقيمة 75 ألف دولار مع شركة "أوف هيل ستراتيجيز" المحسوبة على الجمهوريين. وفي هذا الإطار، يعتبر بن فريمان، من مبادرة شفافية التأثير الأجنبي في "المركز الدولي للسياسة"، أن "السعوديين بحاجة إلى الحفاظ على تأثيرهم داخل الحزب الجمهوري في مرحلة ما بعد دونالد ترامب، على أمل مساعدة الجمهوريين لهم في عرقلة أيّ قرارات تضرّ بهم، مثل فرض حظر على مبيعات السلاح".

لكنّ الغضب ظلّ يلاحق السعودية على رغم انقضاء سنة ونصف سنة على حادثة اغتيال خاشقجي؛ إذ حمل أعضاء مجلس الشيوخ الجمهوريون من الولايات الأميركية المنتجة للنفط، على المملكة، حين انهارت أسعار النفط إلى مستويات تاريخية بعد انفراط عقْد تحالف "أوبك+" في آذار 2020، وتضرّرت صناعة النفط الصخري بصورة غير مسبوقة، ما دفع ترامب إلى التدخّل شخصياً للضغط على حليفته حتّى تتراجع عن قرارها بتعويم السوق بخام شبه مجاني. ولمحاكاة مخاوف الجمهوريين الغاضبين، قرّرت السفيرة السعودية في واشنطن، ريما بنت بندر بن سلطان (السفير الأسبق لدى الولايات المتحدة ومؤسّس اللوبي السعودي في أميركا الثمانينيات)، أن تتحدّث إلى مجموعة منهم، في موازاة تخيُّط اللوبي السعودي في الولايات المتحدة في التعامل مع الغضب المتصاعد في "الكابيتول"، على رغم تبرير إحدى شركاته، "هوغن لوفلز" (Hogan Lovells)، في رسالة موجّهة إلى أكثر من 30 عضواً في الكونغرس، بأن السعودية لم تسعَ ولن تسعى إلى إلحاق أيّ ضرر متعمّد بمنتجي النفط الصخري في الولايات المتحدة".

وفي إطار مساعيها لمواصلة التأثير على البيت الأبيض، سلّط تقرير لشبكة "سي إن بي سي" الأميركية الضوء على تمويل سعودي لمنصة إخبارية رقمية كبيرة في الولايات المتحدة، إذ كشفت وثائق مقدّمة إلى وزارة العدل الأميركية، في إطار قانون الشفافية في عمل مجموعات الضغط"، أن الجهود السعودية غير المعلَن عنها رسمياً حتى الآن تقودها شركة "إي تي إس" التابعة لـ"الشركة السعودية للتنمية والاستثمار التقني"، المعروفة اختصاراً بـ"تقنية"، والتي تعود ملكيتها إلى "صندوق الاستثمارات العامة" الحكومي، بقيادة ابن سلمان. وستكون للمنصّة الجديدة، وفق التقرير، استوديوهات في العاصمة واشنطن، على أن تديرها كوادر لها باع طويل في هذا المجال، وعملت سابقاً في قنوات من مثل "فوكس نيوز" و"إن بي سي" و"سيريوس إكس إم" و"قناة الجزيرة". ويتزامن تأسيس "منصة الأخبار" تلك، كما وصفتها إحدى الوثائق، مع بدء المملكة بتعيين فريق جديد من مجموعات الضغط للتأثير على أروقة صنع القرار في واشنطن. ويُظهر أحد الإفصاحات المقدّمة عن جماعات الضغط الأجنبية لوزير العدل الأميركي أن شركة "برايم تايم ميديا" تساعد في قيادة هذا الجهد. ويساعد الرئيس التنفيذي للشركة، ويدعى إيلي ناكوزي، في إنشاء مؤسسة الأخبار الرقمية الجديدة، فيما تُبيّن إحدى الوثائق أن شركته تتقاضى 1,6 مليون دولار على الأقلّ للمساعدة في توجيه المشروع.

وبين تصاعد نفوذ اللوبي السعودي واضمحلاله، يبقى أكيداً أن ما سلف يمثّل نقطةً في بحر المصالح التي تجمع المملكة بلوبي السلاح الأميركي، ولا سيما أن الجانب العسكري يمثّل أحد أهم جوانب العلاقة بين واشنطن والرياض، في ظلّ المستويات الهائلة لمبيعات السلاح الأميركية للمملكة.

مقالة

الثابت والمتحوّل في العلاقات السعودية - الأميركية

وليد شرارة

محمد بن سلمان حليف «مزعج» و«محرج» لإدارة جو بايدن، من دون أدنى شكّ. لم يذهب الرئيس الأميركي الحالي إلى شخصنة الهجوم على وليّ عهد السعودية، وحاكمها الفعلي، كما فعل مع نظيره الروسي عندما وصفه بـ«القاتل»، لكنه أتّهم المملكة، خلال حملته الانتخابية، بالتصرّف كـ«دولة مارقة». آنذاك، ارتفع سقف الآمال بإمكانية «معاقبة» الولايات المتحدة للأمير الدموي، وتدخّلها بوسائل وسبل مختلفة لعزله وتحجيمه، وربّما استبداله بوليّ عهد آخر متى حان وقت ذلك. وما زال البعض يَعتبر أن تلك المهمّة مدرَجة على جدول أعمال صانع القرار الأميركي، حتى ولو جرى تأجيلها إلى الآن. لكن خيبة الأمل الأولى أتت عندما لم يؤدّ اتّهام الاستخبارات الأميركية، ابن سلمان، بالمسؤولية المباشرة عن عملية القتل الوحشية لجمال خاشقجي، إلى أيّ إجراءات من قِبَل إدارة بايدن بحقّ وليّ العهد. وتعاظمت الخيبة مع توارد المعطيات عن تورّط أميركي كبير في إدارة الحرب على اليمن في الأسابيع الأخيرة، وتشدّد مفاجئ في الموقف حيال «أنصار الله»، على رغم رفع الإدارة الجديدة اسم الحركة من قائمة المنظّمات الإرهابية.

> محاولات تهميش أو إزاحة ابن سلمان ليست بالمهمّة السهلة

يتعارض هذا الواقع مع التوقّعات التي سادت سابقاً حول دفْع أميركي لإنهاء حرب اليمن بسرعة، والتجاوب مع المطالب الإنسانية لليمنيين. تجاهَلت التحليلات «المتفائلة» المشار إليها جملة اعتبارات بنيوية وظرفية تَحكم العلاقات السعودية - الأميركية والتحالف الثابت بين الطرفين، أبرزها الوزن الحاسم لكارتيلات السلاح في عملية صناعة السياسة الخارجية لواشنطن حيال حكّام الرياض، والخوف من العبث بتوازنات داخلية لحليف خاضع لسيطرة مجموعة انقلابية، في سياق دولي تتسارع فيه تحوّلات موازين القوى ويتسلّل خلاله التأثير الصيني والروسي إلى مناطق النفوذ الأميركي «الحصري».

كارتيل السلاح العابر للانقسام الحزبي

بحسب التقرير الأخير لـ«معهد استوكهولم الدولي لدراسات السلم»، الصادر في 15 آذار من هذا العام، فإن الولايات المتحدة ما زالت تتصدّر قائمة الدول المُصدّرة للسلاح، مع 37% من مجمل الصادرات الدولية، بينما تسهم روسيا بـ20%، وفرنسا بـ8,2%، والصين بـ5,2%. السعودية منذ عقود بين أبرز مستوردي السلاح الأميركي، وهي، وفقاً للتقرير نفسه، كانت وجهته الأولى بين 2016 و2020، مع 24% من مجمل الصادرات الأميركية خلال هذه الفترة. قد يعزو البعض «القفزة النوعية» في المشتريات السعودية، إلى الرغبة، خلال عهد دونالد ترامب، في تعزيز أواصر «الصداقة» معه، لكن الشركات الأميركية المنتجة لهذه الأسلحة ليست مُلكاً لترامب. هي أهمّ مكوّنات كارتيل السلاح، الذي يشكّل مع المؤسسة العسكرية الأميركية ما يُسمّى بـ«المجمّع الصناعي - العسكري»، أحد الأذنية المركزية للدولة العميقة. يمتلك الكارتيل صلات عضوية بالحزبين الديموقراطي والجمهوري، وبأقطاب في إدارة بايدن. ففي مقال بعنوان «تأثير قوي للمجمّع الصناعي - العسكري على سياسة بايدن الخارجية» على موقع «تروث أوت»، يشير جوناثان كينغ وريتشارد كروشنيك إلى الروابط «الحميمة» بين فريق بايدن والمجمّع المذكور: «وزير الخارجية، أنتوني بلينكن، الذي أيّد الحرب على العراق والمتشدّد حيال الصين، رأس شركة استشارية عملت مع الشركات الكبرى المتعاقدة مع الجيش، جنباً إلى جنب مع ميشيل فلورنوا، نائبة وزير الدفاع في عهد أوباما، وأفريل هاينز، المديرة الحالية للاستخبارات الوطنية». ينفق كارتيل السلاح مبالغ طائلة لتمويل جماعات الضغط في الكونغرس، ويساهم في تمويل الحملات الانتخابية لمرشّحين في الانتخابات التشريعية والرئاسية في مقابل الحصول على دعمهم لزيادة الميزانية العسكرية الأميركية. فقد خصّصت شركات كـ«رايثيون» و«يونايتد تكنولوجي» و«لوكهيد مارتن» ما يوازي 127 مليون دولار سنوياً، خلال السنوات الـ12 الأخيرة، لتمويل اللوبيات العاملة لمصلحتها في الكونغرس، بحسب تقرير لجنة الانتخابات الفدرالية. ويضيف كينغ وكروشنيك أن «أعضاء الكونغرس يعلمون أن مواقع عالية مع مرتّبات مرتفعة ستكون متوفّرة بالنسبة إليهم في قطاع صناعات الدفاع بعد تقاعدهم كمشرّعين. ووفقاً لبرنامج الرقابة الحكومية، فإن 645 من كبار الموظّفين الحكوميين، أساساً من البنتاغون ومن ضباط الجيش ومن أعضاء الكونغرس، انتقلوا في 2018، بعد تقاعدهم، إلى العمل في واحدة من كبار شركات السلاح الـ20». صناعات السلاح هي من أهمّ قطاعات الاقتصاد الأميركي، وتداخل مصالح أقطاب وأعضاء المؤسّسات الرسمية مع شركات المجمّع الصناعي - العسكري، والروابط التاريخية المتينة بين هذا الأخير وحكّام المملكة السعودية، أحد أفضل زبائنه، هي جميعها عوامل بنيوية حاسمة تدخل في حسابات أيّ إدارة أميركية، فكيف إذا كانت لبعض رموزها صلات وطيدة مع هذا المجمّع، حلفاء تقليديون للولايات المتحدة، كتركيا، لم يتردّدوا في شراء منظومة «S400» من روسيا، وآخرون جدد، كالهند، في صدد القيام بالأمر عينه. صحيح أن الحُكم السعودي أضعف تجاه واشنطن من هذين البلدين، لكن الضغط عليه ومحاولة تهميش رأس المجموعة الانقلابية التي تتحكّم به اليوم، قد تدفع الأمير الجامح إلى توثيق الشراكات مع منافسيها الدوليين في موسكو وبكين، والذين يتمنّون ذلك.

صعوبة الانقلاب على انقلابيين

محمد بن سلمان قام بانقلاب ناجح، تمكّن من خلاله من إزاحة جميع منافسيه من أمراء آل سعود، وتغيير طبيعة حُكمهم، من نظام «متعدّد الأقطاب» ومراكز القوى، إلى نظام مركزي هرمي يُحكم قبضته الحديدية عليه. جميع سياسات ابن سلمان العدوانية الهوجاء، كالحرب على اليمن، والتصعيد ضدّ دول الجوار في الإقليم، هدفت أوّلاً إلى اكتساب شرعية وطنية في الداخل تمهيداً للانقضاض على السلطة كما فعل، ومن ثمّ الاستئثار بها تماماً. سياساته «الانفتاحية» في الداخل، ومشاريعه «الفرعونية» كمشروع «نيوم» مثلاً، تندرج في الإطار نفسه أيضاً، أي توسيع قاعدته الموالية داخلياً. وترى الخبيرة في الشؤون الخليجية، أنيل شيلاين، في مقال على موقع «ريسبونسيبل ستايت كرافت»، أن الطموحات الاقتصادية لابن سلمان باتت تُحفّزه على السعي إلى منافسة الإمارات على موقعها كقطب اقتصادي في الترانزيت والسياحة، والحلول في مكانها، ما يفسّر جزئياً التباعد المتزايد بين الرياض وأبو ظبي. وحتى ما بدأ يُظهره من استعداد لتطبيع العلاقات مع إيران، أو من بحث، ببط، شديد، عن مخرج من حرب اليمن، لا يمكن فصلهما عن عمله لدعم موقعه في السلطة. كشّب التأييد والودّ، وحتى التماهي مع «مشروعه التحديثي» في الداخل، جميعها عوامل مساعدة للاحتفاظ بالسلطة، لكن العامل المركزي الحاسم بالنسبة إلى صاحب عقلية تآمرية انقلابية هو في تثبيت سيطرة لا تتزعزع على الأجهزة الأمنية والعسكرية أوّلاً. وكشف وتصفية المتآمرين أو من يظنّ أنهم كذلك. محاولات تهميش أو إزاحة ابن سلمان ليست بالمهمّة السهلة، خاصة مع اتجاه الولايات المتحدة التدريجي إلى التركيز على المواجهة مع الصين، وهذه الأخيرة، وكذلك روسيا، لن تتردّدا في استغلال أيّ تأزّم في العلاقات السعودية - الأميركية لتطوير شراكات في مجالات مختلفة مع الرياض. لذا، من المرجّح أن تستمرّ واشنطن في التعامل مع ابن سلمان «المزعج»، طبقاً لقاعدتها التاريخية المعروفة في علاقاتها مع حلفائها في بلدان الجنوب: «هؤلاء أوغاد! لكنهم أوغادنا».

فلسطين

تجدّد الاستفزازات في القدس
المقاومة تنذر العدوّ بالتصعيد

تتجدّد استفزازات المستوطنين الإسرائيليين في القدس، برعاية من سلطات العدو، التي وافقت على إطلاق مستوطنيها داخل المسجد الأقصى لمناسبة ذكرى «خراب الهيكل». قرارٌ دفع المقاومة إلى توجيه إنذار إضافي إلى حكومة الاحتلال من اختبار صبر الفلسطينيين وقوّتهم، توازياً مع انطلاق دعوات إلى الرباط في المسجد الأقصى وشوارع القدس لصدّ الهجمة الاستيطانية الجديدة

غزة ـ **رجب المدهون**

مرّة جديدة، تعود مدينة القدس لتصبح عنواناً لتفجُّر المواجهة بين المقاومة الفلسطينية ودولة الاحتلال. ففي الوقت الذي أطلق فيه مستوطنون دعوات إلى اقتحام المسجد الأقصى، يوم غد الأحد، ورفع الأعلام الإسرائيلية في داخله لمناسبة ذكرى "خراب الهيكل"، رفعت فصائل المقاومة الفلسطينية من مستوى تحذيراتها للعدو. وأشارت حركة "حماس"، في بيان لها، إلى أنها تتابع موافقة الحكومة الإسرائيلية على تنفيذ مخطّط المستوطنين في المدينة المقدّسة، مؤكدةً أن هذه الخطوات تمسّ بالمناسبات الدينية للمسلمين، وخصوصاً الأيام العشْر الأوائل من شهر ذي الحجة، ويوم عرفة، وعيد الأضحى. وحذّرت "حماس"، "حكومة المراهقين الأشقياء من محاولة اختبار صبر المقاومة ورجالها الأبطال، والذين عاهدوا الله على ألّا يكلّوا ولا يملّوا في الدفاع عن أغلى ما يملكون والمتمثّل بالمسجد الأقصى". كما دعت أبناء الشعب الفلسطيني والمقاومة في قطاع غزة، إلى أن تُبقي أصابعها على الزناد، "حتى يَفهم الاحتلال بأنّ القطاع هو درعٌ وسيفٌ للقدس". من جهتها، دعت "حركة الجهاد الإسلامي" المقدسيين، إلى التصدّي بكلّ حزْم للاعتداءات الصهيونية، وتفعيل كلّ سبل المواجهة، مشددةً على أن "عين المقاومة على القدس، وما يجري فيها

> **سادت حالة من التوتّر والاشتباكات، أمس، في أنحاء متفرقة في مدينة القدس المحتلّة**

هذه التطوّرات مع دعوات أخرى ممّا تُسمّى بـ"حركة السيادة في إسرائيل"، لتنظيم مسيرة للمستوطنين حول أسوار البلدة القديمة في القدس، في اليوم ذاته. وفي هذا الإطار، حضّ مجلس الإفتاء على مواجهة تلك الحملة، والعمل على إفشالها، "من خلال شدّ الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك، والاعتكاف فيه، والوجود بكثافة في باحاته، لصدّ هذا العدوان". وفي السياق ذاته، ندّد المجلس بأعمال الحفر الجديدة في "ساحة البراق"، والتي كشفت عن مخطّط لبناء مبنى تهويدي ضخم على مساحة ألف متر مربع، لإقامة المستوطنين شعائرهم التلمودية فيه. ونبّه إلى أن ذلك المشروع يُعدّ من أخطر المشاريع التي ستقام تحت أساسات المسجد الأقصى، وستؤدي إلى زعزعتها وانهياره. وتحمل الحفريات عند السور الغربي، وجزء من السور الجنوبي للمسجد الأقصى، خطورة كبيرة على المسجد، وعلى بقية الساحات الغربية. فاستمرار الحفريات في المنطقة، والتي ستصل بشكل واضح إلى أسفل المسجد، تستهدف الآثار الإسلامية، التي تعود إلى العهدين العثماني والمملوكي، وتغيير واقع المسجد الأقصى التاريخي، وفرض وقائع جديدة، ربّما تؤدّي إلى هدمه.

في هذه الأثناء، سادت حالة من التوتّر والاشتباكات، أمس، في أنحاء متفرّقة في مدينة القدس المحتلّة، بعد استيلاء مستوطنين على قطعة أرض وغرفتين سكنيتين في حي وادي حلوة، في بلدة سلوان جنوب المسجد الأقصى. وقال مدير "مركز معلومات وادي حلوة"، جواد صيام، إن "مساحة قطعة الأرض تبلغ نحو 250 متراً مربّعاً"، متحدّثاً عن وجود تسريب لشقّة سكنيّة على بعد مسافة قليلة من قطعة الأرض. وأصيب شاب بالرصاص المعدني المغلّف بالمطاط في ساقه، كما أصيب العشرات بالاختناق، جرّاء قمع قوات الاحتلال مسيرة منددة بشقّ شارع عسكري استيطاني في منطقة الثغرة غرب بلدة حزما، شمال شرق القدس المحتلّة. وأفادت المصادر المحلية بأن قوات الاحتلال أطلقت الرصاص المعدني، وقنابل الصوت، والغاز المسيل للدموع، بكثافة تجاه المواطنين، الذين خرجوا لتأدية صلاة الجمعة، للأسبوع الثالث على التوالي، فوق الأراضي المحيطة بالشارع، ما أدّى إلى إصابة عدد منهم. ورفع المشاركون في المسيرة العلم الفلسطيني، والشعارات واللافتات المنددة بالاستيطان، كما ردّدوا هتافات غاضبة ضدّ سياسة الاحتلال، المتمثلة في الاستيلاء على عشرات الدونمات من أراضي البلدة، وحرمان المواطنين ورعاة الأغنام من الوصول إلى أراضيهم.

ظهرت دعوات شبابية وشعبية فلسطينية إلى الاستنفار والرباط على أبواب البلدة القديمة (أ ف ب)

اليمن

تحريك «مأرب» لا ينقذ «القاعدة»: قوات صنعاء تستعيد رحبة

صنعاء ـ **رشيد الحداد**

حسم الجيش اليمني و"اللجان الشعبية" معركة استعادة مديرية رحبة جنوب مأرب، بعد أقلّ من 48 ساعة على سقوط المديرية في هجوم مباغت نفّذته، مساء الأربعاء، قوات الرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور هادي، من مواقعها السابقة في جبل مراد، مستغلّة وجود مساحات شاسعة تجري تحييدها عن الصراع، للتسلّل إلى مناطق آل الأحمر، وعلفا، وبقعة، ومفراة، والالتفاف من جبل حوث الواقع بين مديريتي رحبة وجبل مراد، للوصول إلى منطقة الكولة، مركز رحبة، والسيطرة عليها. لكن الجيش و"اللجان" ظلّا متمركزَين في جبال استراتيجية غرب المديرية وشرقها، بعد تمكّنهما من إفشال محاولة تقدُّم لقوات هادي في اتجاه وادي المشيريف الرابط بين رحبة، ومديريتي القرشية وولد ربيع في شمال البيضاء، بهدف فتح جبهة جديدة في القرشية، لتخفيف الضغط العسكري على عناصر تنظيم "القاعدة" في جبهة الصومعة.

وجاء الردّ على ذلك الهجوم بعملية معاكسة من أربعة مسارات قتالية نفّذتها قوات صنعاء. وبحسب مصادر قبلية تحدّثت إلى "الأخبار"، فإن "قوات هادي لم تصمد لساعات أمام الهجوم المضاد الذي نفّذه الجيش واللجان الشعبية مساء الأربعاء، من أربعة مسارات عسكرية: الأول من اتجاه منطقة القطن شرق مركز مدينة رحبة، والثاني من جبل ثمر في اتجاه منطقة مفراة، والثالث انطلق من منطقتَي الصدارة وحيد بن حارز في اتجاه منطقة بقثة، والرابع من نجد المجمعة في اتجاه منطقة علفا. وتمكّن الجيش و"اللجان"، خلال الساعات الأولى للعملية، من استعادة 75 في المئة من المناطق التي سقطت بيد قوات هادي، والتفّا على منطقة الكولة من الجنوب ليطبقا عليها الحصار من الاتجاهات كافة، فجر الخميس. وأكدت المصادر أن الجيش واللجان شرعا في قطع جميع الإمدادات عن قوات هادي في مركز مديرية رحبة، ودعوا تلك القوات إلى الاستسلام وحقن دمائها كونها تحت الحصار. وبعد تدخل وساطات قبلية بين الطرفين، سمحت قوات صنعاء للعناصر المحاصرين بالخروج من المدينة، حاملين أسلحتهم الخفيفة. وخشية تعرُّض قوات هادي التي قبلت الانسحاب من دون قتال للاستهداف من قِبَل الطيران السعودي، غادر نحو 500 عنصر منها مساء الخميس منطقة الكولة، تاركين وراءهم أسلحتهم المتوسطة والثقيلة، لتتمّ استعادة مركز مديرية رحبة".

التحوّل العسكري الجديد في مديرية رحبة، خلال اليومين الماضيين، أثار حال استنفار قصوى لدى قوات هادي في جبهات جبل مراد والجوبة والماهلية وحريب، خصوصاً بعد تقدُّم الجيش و"اللجان" إلى ما بعد رحبة. ووفقاً لأكثر من مصدر في صنعاء، فإن وزارة الدفاع في حكومة الإنقاذ وجّهت الجيش و"اللجان" بعد استعادة مديرية رحبة وتأمينها، بمواصلة العملية وتمشيط مديريات جنوب مأرب كافة.

وكانت قوات صنعاء قد حقّقت تقدُّماً، خلال الساعات الماضية، في مناطق في جبل مراد واقعة تحت سيطرة التشكيلات الموالية للتحالف السعودي. وفيما قالت قوات هادي إنها نقلت المعركة إلى وادي المشيريف الذي يتبع إدارياً مديرية ولد ربيع، أوضح مصدر مطلع أن تلك القوات وصلت إلى أطراف الوادي، ولم تصل المواجهات إلى المناطق الواقعة على التماس بين مأرب ومديرية القرشية التابعة. ولفت إلى تمكن الجيش و"اللجان" من التقدُّم في أجزاء واسعة من وادي المشيريف خلال اليومين الماضيين، بينما "لا تزال قوات هادي، مدعومة بإسناد جوي، في أطراف الوادي. وفي غرب مديرية مأرب، حاولت قوات هادي وميليشيات حزب "الإصلاح" تحقيق تقدّم صوب منطقة الدشوش، بالتزامن مع اشتداد المعارك في جنوب المديرية، فرد الجيش و"اللجان" بالتقدُّم في شمال غربي المدينة في اتجاه مناطق قريبة من قاعدة صحن الجن الواقعة في نطاق الأحياء الشرقية الغربية للمدينة.

> **حقّقت قوات صنعاء تقدُّماً، خلال الساعات الماضية، في مناطق واقعة في جبل مراد تحت سيطرة قوات هادي**

تقدّم الجيش و"اللجان" في اتجاه مناطق قريبة من قاعدة صحن الجن (أ ف ب)

إعلانات رسمية

إعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لشراء محرك 5100kw/6kv لمضختي مياه التغذية الرئيسية على المجموعة الرابعة في معمل الذوق الحراري، موضوع استدراج العروض رقم ث4د/3155 تاريخ 2020/5/8، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2021/8/20 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.

يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ امانة السر ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 150/ل.ل.

علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الأحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.

تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.

بيروت في 2021/7/12

بتفويض من المدير العام

مدير الشؤون المشتركة بالإنابة

المهندس واصف حنيني

التكليف 602

تبليغ

جانب: هاني سهيل قبيسي

الموضوع: تبليغ فقرة حكمية

المرجع: محكمة بيروت الشرعية الجعفرية

في الدعوى المتكونة بينك وبين المدعية نادين حيدر جعفراوي بمادة مهر والمسجلة برقم اساس 2021/264 صدر عن هذه المحكمة (غرفة القاضي السيد بشير مرتضى) حكماً غيابياً بحقك ووجاهياً بحق الجهة المدعية بتاريخ 2021/5/27 سجل برقم 264 قضى بالزامك دفع مهر المدعيه نادين حيدر جعفراوي والمستحق وقدره خمس وتسعون ليرة ذهبية انكليزية. تضمينك الرسوم والنفقات. مهلة الاعتراض والاستئناف خمس واربعون يوماً تلي النشر.

رئيس قلم محكمة بيروت الشرعية الجعفرية

علي الحاج

إعلان

من أمانة السجل العقاري في بيروت طلب علاء حكمت كمال الدين لموكله أحمد عبد الحفيظ العجم سند تمليك بدل عن ضائع للقسم 28 من العقار 5200 منطقة المصيطبة.

للمعترض مراجعه الأمانه خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري بالتكليف في بيروت

يوسف شكر

إعلان صادر عن دائرة تنفيذ الدامور

بالمعاملة التنفيذية: 2018/133

الى المنفذ عليهما: 1 – محمد غالب الرواس

2 – غنى رشيد وهبي مجهولان محل الإقامة

تدعوكم هذه الدائرة للحضور اليها بالذات أو بواسطة وكيلكم القانوني لتبلغ الانذار التنفيذي ومرفقاته في المعاملة المقامة بوجهكم من طالب التنفيذ الاعتماد اللبناني ش.م.ل.

بموضوع القرار الصادر عن اللجنة القضائية الناظرة في الخلافات الناشئة عن تطبيق قوانين الاسكان بتاريخ 2018/5/8 وذلك خلال عشرين يوماً من تاريخ النشر وضمن الدوام الرسمي وعليكما اتخاذ محل اقامة ضمن نطاق الدائرة والا عد قلمها مقاماً مختاراً لكما وتعتبران مبلغان اصولاً بعد انقضاء المهلة ومهلة الاعتراض خمسة ايام.

مأمور التنفيذ

فرح جرجور

استراحة

كلمات متقاطعة 3790

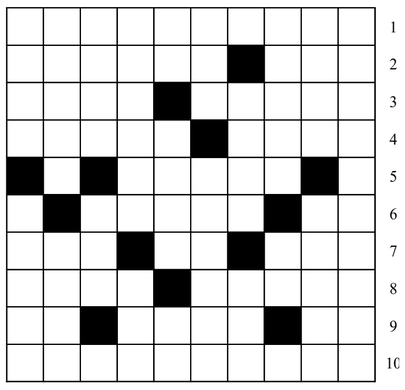

أفقيا

1- الإسم الحقيقي لصباح – 2- حجر الضبع – مدينة تركية – 3- دولة عظمى – هيّن بالأجنبية – 4- شاعر أموي – أناء القهوة – 5- جزيرة يونانية – 6- وشى – من الحشرات – 7- إعترف بأخطائه – لألمع عظام – يكسو جلد بعض الحيوانات – 8- سلسلة أفلام لسيلفستر ستالون – إحدى الولايات المتحدة الأميركية – 9- حديقة حيوانات بالأجنبية – رجل دين – جواب على السؤال – 10- موقع أثري في سوريا على العاصي قرب حمص

عمودياً

1- ملكة جمال كون لبنانية – 2- معاشات الخدم – متعهد بناء – 3- فتى أسطوري يونانيّ عشق صورته المنعكسة في الماء – ثرى – 4- قلم – من الحشرات – 5- كلمة تعني هلاك أو خسارة – مدينة في الأرجنتين – 6- إسم بوذا في الصين – منبع ماء – كانت أسنانه قصيرة منعطفة على غار الفم – 7- مرفأ بولوني يُعرف بإسم دانتزيغ – يحمله كل إنسان – 8- عطر – صبي بالأجنبية – 9- مدينة سويسرية – من الأسماك – 10- خلاف شمال – خيمة فوق صحن البيت

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- تراموای – مر – 2- سومطره – ريّا – 3- بم – إعتماد – 4- لار – سام – 5- جام – نق – 6- لادا – مدح – 7- وبَ – نمّ – يبدّل – 8- كوتاهية – 9- يمد – نش – دار – 10- ليليان نمري

عمودياً

1- تسبّ – الوكيل – 2- رومل – أبومي – 3- أم – أرد – تدل – 4- مطار – أنا – 5- ورع – مهنا – 6- إهتمام – يشنّ – 7- مدية – 8- رأس – حُب – دم – 9- ميدان – دوار – 10- را – مقال – ري

sudoku 3790

	3				2		8	
9				7			2	
8			1	4			6	
		6	8		5	2		
7		1				9		6
		2	9		7	3		
	5			9	6			1
	1			2				4
	7		5				3	

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3789

4	5	8	9	6	2	3	1	7
2	3	1	4	8	7	5	6	9
9	6	7	1	5	3	4	8	2
3	4	2	8	7	1	6	9	5
7	1	5	2	9	6	8	3	4
8	9	6	5	3	4	7	2	1
1	8	3	7	4	9	2	5	6
5	2	4	6	1	8	9	7	3
6	7	9	3	2	5	1	4	8

مشاهير 3790

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

أديب وعسكري ووزير مصري (1917-1978)، شغل منصب وزير الثقافة زمن الرئيس السادات. عام 1977 تم انتخابه نقيباً للصحافة المصرية. اغتيل في قبرص

5+6+2+1+3+4 = الفياصل ■ 10+8+9+7 = أسد ■ 8+3+11 = يلعن ويشتم

حل الشبكة الماضية: **تايلور سويفت**

إعداد
نعوم مسعود

الأخبار
al-akhbar
السبت 17 تموز 2021 العدد 4393

باسل وأندرو وناديم: كونشرتوهات للبيانو

بشير صفير

في توليفةٍ تتحايل على الصعوبات اللوجستية والإمكانات المادية، انطلقت قبل نحو شهرٍ سلسلةُ أمسيات كلاسيكية مجّانية تتمحوَر حول كونشرتوهات شهيرة من الريبرتوار، معدّة لآلتَي بيانو، حيث الجانب المخصص للبيانو في المدوّنة الأساسية يبقى كما هو، في حين تُختَصَر المرافقة الأوركسترالية بإعداد لآلة بيانو ثانية. وراء المشروع ثلاثة عازفي بيانو مكتملين وغير متفرّغين، استغلّوا الحجر الصحي الذي عطّل الحياة خارج البيوت في الأشهر الأولى من السنة الجارية للعمل على أعمال صعبة جداً تتطلب وقتاً غير متوافر في الأيام الطبيعية. إنهم باسل البابا وأندرو حداد وناديم طربيه ومهامهم موزّعة على الشكل التالي: العازفان الأوّلان تمرّن كل واحد منهما على عملَين، في حين تولّى الثالث الأعمال الأربعة في الجانب المخصص للمرافقة. والأعمال بدورها تُقسم إلى قسمَين، حيث الأول يضم ثلاثة كونشرتوهات (للمؤلفين برامز، رخمانينوف وبروكوفييف) تمّ الاكتفاء بالحركة الأولى من كلٍّ منها، والقسم الثاني يضم كونشرتو كاملاً (كونشرتو اليد اليسرى لرافيل)، على اعتبار أنه يتألف أساساً من بلوك واحد غير مُجَزّأ. هكذا، تولّى باسل البابا الكونشرتو الأول لبرامز والكونشرتو الثالث لرخمانينوف. أما أندرو حدّاد، فتولّى الكونشرتو الثاني لبروكوفييف وكونشرتو اليد اليسرى الذي كتبه رافيل لعازف بيانو كان قد فقد يده اليمنى في الحرب العالمية الأولى. أما ما قد يُضاف من خارج البرنامج، فمتروكٌ لظروف كل أمسية وأجوائها، مثل الموعد الأخير الذي أضيفت في ختامه مقطوعة للمؤلف السوفياتي من أصل أرمني آرام خاتشتوريان، أدّاها ناديم طربيه وأتبعها بتنويعات مرتجلة على مقطوعة يختارها الجمهور، فتوجّهت الطلبات بشبه إجماع إلى ريبرتوار فيروز قبل أن يحدّد أحدهم أغنية «نسّم علينا الهوا».

اليوم السبت، نصل إلى المحطة الرابعة، حيث يقدّم الثلاثي برنامجه في «جامعة سيدة اللويزة» (المبنى القديم / زوق مصبح — كسروان) في أمسية من تنظيم الجامعة و«المركز الثقافي في عجلتون»، بعدما توقّف قطار الجولة في محطةٍ مساء الجمعة من الأسبوع الماضي، في برج حمّود. لقد كانت محطةً استثنائية. إلى المستوى الفنّي المتقَن الذي قدّمه الشباب في الأمسية، أضيف الجو العام الذي أمّنه الحضور، إذ تألّف من جمهورَين! فالأمسية جرت في الهواء الطلق، في باحة «الكنيسة الأرمنية الإنجيلية» التي ما زالت قيد الترميم جراء انفجار كمية هائلة من العهر في المرفأ القريب. الجمهور الأساسي بدا مستمعاً بشغف، بعضه مثقّف بالمعنى الحقيقي والصحّي للكلمة (إنه التأثير الأرمني في تلك المنطقة، وهو آتٍ من تأثير الحقبة السوفياتية على البلد الأم، أرمينيا)، وقد احتشد في الباحة وتألّف من كل الفئات العمرية، بمن فيها الأولاد الصغار. تقع الكنيسة في قلب حيّ مدّمر قبل 4 آب 2020 وخلاله وبعده. أصحابها لم يخسروا شيئاً عصر ذاك اليوم، لأن ليس لديهم شيءٌ يخسرونه. حيٌّ بمقوّمات حياة تجعل هذه الموسيقى، الكلاسيكية، بعيدةً سنين ضوئية عن اهتماماته وأولويّاته الحيوية. مع ذلك، كان سكانه على السمع، بصمت، بلهفة مصدرها الذهول والدهشة، وبمتعة فطرية قد تكون آتية من استشعار نوع من أنواع الأوكسيجين الخاص، المرافق لهذه الأصوات الخارجة من آلَتَي بيانو. أطفال الـ «فافيلاً» البيروتية، تلك الـ«موزارات الصغيرة» التي شاء القدر أن تولد في دولةٍ تحفر قبر أي احتمال «موزار»، كانوا على الموعد، من دون معرفة موسيقية وتاريخية وبدون تحليل عميق آتٍ من ادعاء في أغلب الأحيان (في لبنان بشكل خاص). أطلّوا من على شرفات المنازل، واحتشدوا على الأسطح، وهي هنا، في برج حمّود، منازل يتساكن عليها الناس وخزّانات المياه وكابلات غير معروف لا مصدرها ولا مطافها ولا دورها. كان المنظر رهيباً ومؤثّراً. سريالياً بعض الشيء. بقليل من الخيال، يمكن النظر إلى هذا الجمهور، الذي أتت الحفلة إليه بدلاً من أن يذهب إليها، كأنه الأكثر اقتداراً مادياً وقيمةً اجتماعية. ففي الصالات الفخمة، تلك الأماكن العالية المطلّة على المسرح، تُسمّى «لوج» (ومنها تأتي عبارة «باللوج» للدلالة على الثراء) وهي مخصّصة لكبار الشخصيات. لكن «اللوج» في النتيجة مسألة معيار. ففي معيار الطيبة وجمال الروح ونقائها، هذا الصبي، الذي استند لنحو من ساعتين على حافة سطح البناية شبه المتداعية، وصفّق بيديه الصغيرتين وقلبه الأبيض، هو «باللوج»... لا بل إنه جلالة الملك وما نحن إلاّ حاشيته.

*** أمسية باسل البابا وأندرو حداد وناديم طربيه: 7:30 مساء اليوم «جامعة سيدة اللويزة» (المبنى القديم / زوق مصبح — كسروان)**

ثلاثي «أبوجياتورا»: أمسية غريبة!

«أبوجياتورا» (L'appoggiatura) هي فرقة موسيقية ثلاثية، تتّخذ من قاموس الزخرفة في التدوين الموسيقي اسماً لها وتتألّف من ثلاث آلات تشيلّو. شكل الفرقة بحدّ ذاته غير مألوف، والمقطوعات المكتوبة لهكذا تركيبة نادرة جداً في الريبرتوار. على التشيلّوهات الثلاثة ثلاث فتيات، هنّ جنى سمعان ونايري غزريان وفيرونيك وهبي، قدَّمْن مساء الخميس الفائت أمسيةً في «أونوماتوبيا» (الأشرفية) ببرنامج شيّق، لكنه غريب فعلاً. باقة من المقطوعات، أدّتها العازفات الثلاث بحرفية، شابتها بعض الهفوات التي لا يجب التشديد عليها نسبةً إلى ظروف البلد عموماً وإلى ظروف المكان حيث أقيمت الأمسية. فالمرحلة تتطلّب تشجيعاً للموسيقيين المحترمين الذين يحاولون البقاء في البلد وكسب حياتهم من هذه الأنشطة، لا نقداً صارماً لمستوى الأداء، من جهة، ومن جهة أخرى، الصالة التي استضافت الحدث كانت مبرّدة، رغم الرطوبة والحر، ما يجعل خيانة الآلة الوترية لعازفها متوقّعة، وهذا يحصل مع كبار الموسيقيين (مثلاً، أمسية يو-يو ما، في الهواء الطلق قرب البحر، ضمن «مهرجانات بيبلوس» قبل سنتَين).

تولّت جنى سمعان، المشرفة على الفرقة ومُؤلِّفَة معظم الأعمال (من أشكالها الأصلية إلى ثلاثي تشيلّو)، التعريف بالمقطوعات وبمؤلفيها وبعض الجوانب التاريخية التي وضعت الجمهور في أجواء العمل قبل تقديمه، وسارت الأمسية بسلاسة من عصر الباروك حتى القرن العشرين. الغريب في البرنامج هو أنه، باستثناء عمل لفيفالدي، مقسوم إلى قسمَين: الأول هو الذي يمكن وصفه بأنه يتوجّه إلى العلّامة بالموسيقى الكلاسيكية ونابشي المؤلفين الذين نادراً ما نصادف أسماءهم في الديسكوغرافيا (أقلّه عند الناشرين الكبار)، أو حتى في كتب تاريخ الموسيقى إلّا تلك المخصّصة لحقبة محدّدة في بلدٍ محدّد. إنها أسماء قد يمضي المرء العمر في البحث والسمع من دون أن يتوقّف كثيراً عندها، أمثال الفرنسي ميشال كوريت والإيطاليّين جياكوبي تشيرفيتّو وجيوزيبي فالنتيني وجيوفاني بلاتي (وهو أشهرهم، نسبياً طبعاً!) وغيرهم. هؤلاء كلهم من عصر الباروك أو من المعاصرين للحقبة التالية (الكلاسيكية) الذين انتموا أسلوباً إلى الحقبة السابقة، أي أنهم كانوا من المحافظين (وهذا الخيار غالباً ما يسبب تهميشاً للمؤلف خلال حياته ولاحقاً). اسمٌ آخر يضاف إلى هذه اللائحة في الأمسية، من المرحلة الأخيرة للحقبة الرومنطيقية (نهاية القرن التاسع عشر)، الألماني ألفرد بستر، علماً أن العمل الذي سمعناه (ثلاث قطع قصيرة) — وهو بالمناسبة جميل جداً ومكتوب أصلاً لثلاثة تشيلّوهات — ينتمي إلى نَفَس التأليف الذي كان رائجاً قبل مئة عام! نبش هذا النوع من المؤلفين غالباً ما تأتي نتيجته مُملّة، ولا تتعدى الفضول المعرفي، وتوليف أعمال هؤلاء لتركيبة من هذا النوع لا يزيدها إلا مللاً... لكنّ الباقة التي سمعناها لم تكن كذلك، لا نواةً ولا توليفاً.

هذا القسم الأول. أما القسم الثاني فهو عكس الأول تماماً، باستثناء سهولة النَّفَس العام (بمعنى تقبّل الجمهور له)، وقد حوى باقة من الأعمال الموجّهة إلى «المبتدئين» في السمع الموسيقي! سمعنا مجموعة من المقتطفات الأوبرالية الفائقة الشهرة لموزار وهاندل وفيردي، في توليفٍ لثلاثة تشيلّوهات طبعاً، على رأسها وعلى رأس الأمسية لناحية الجمال النقي، السهل والمركّب في آنٍ، آريا Voi Che Sapete من أوبرا «عرس فيغارو» لموزار. هذا الجانب الكلاسيكي الشعبي من هذا القسم. أما الجانب الآخر فأتى لاتينياً وقمّةً في الشهرة، وتألّف من تحفة الأرجنتيني أستور بياتزولا، «ليبرتانغو»، نشيد الحرية الذي يُدرَج على برامج الفرق في العالم، مهما كان اهتمامها وتركيبتها، وهنا سمعناه في أمسية كلاسيكية وبتركيبة ثلاثية لآلة التشيلّو. وما أشهر من «ليبرتانغو» في ريبرتوار التانغو إلّا... «لا كومبارسيتا»، التي ختم بها الثلاثي الأمسية قبل أن يعيد عزف «ليبرتانغو» بطلب من جمهورٍ استمتع بالسهرة من دون شكّ، على اختلاف علاقته بالموسيقى، وهذا يبيّن ذكاءً في تركيب البرنامج... لكنه يبقى غريباً!

بشير...

بيت الفنان: دعوا الأطفال يأتون إليّ

يخصّص «بيت الفنّان حمّانا» فسحة خاصّة للأطفال من خلال استضافة عازفين موهوبين مساء اليوم السبت هما: إدوار ديان (12 سنة) وهو تلميذ في الصّفّ الرابع في الكونسرفاتوار اللبناني، وكيڤن كنّان (13 سنة) وهو تلميذ في الصفّ الخامس في المعهد نفسه. كما أنّهما تلميذان لدى البروفيسور أرثور تير هوڤيانيسيان. يقدّم الاثنان أمسية موسيقية، حيث سيقوم كل واحد بالعزف تلو الآخر، بالتّعاون مع البروفيسورة في المعهد العازفة ليانا هاريوتونيان. ويعِد القيمون بـ «عرض ممتع وبرنامج شيّق». علماً أنّ الحدث يندرج ضمن «لقاءات نحنا والقمر والجيران 2021» لمجموعة «كهربا».

عرض موسيقي: اليوم 7:30 مساء ـ «بيت الفنان . حمانا» . الدخول مجاني والحجز ضروري عبر: 76/907348

أحمد حويلي: عودة عاشق

تحت اسم «عودة عاشق»، يعود الشيخ أحمد حويلي (الصورة) إلى الخشبة بعد غياب حوالى سنتين بسبب الظروف التي فرضها وباء كورونا في لبنان. مساء 30 تموز (يوليو)، يضرب المؤدي والمنشد الصوفي لنا موعداً في مسرح «دوار الشمس» مع فرقته ودراويشه الذين اعتدناهم في أماسيه الصوفية. سيقدّم حويلي كالعادة قصائد لابن الفارض، والحلاج، وحافظ الشيرازي، وبن الملوّح، وجلال الدين الرومي، ورابعة العدوية. إنّها «عودة عاشق» يذكّرنا بأنّ «العشق هو رأسماله الأوّل وقبل أي شيء» وفق ما قال لنا في حديث سابق.

«عودة عاشق»: التاسعة مساء 30 تموز (يوليو) ـ مسرح «دوار الشمس» (الطيونة . بيروت) . للاستعلام: 03/718924

«نساء» ساندرا ماضي: قصة كفاح

بعد حيازته جائزة «التحكيم الخاصة» التي تحمل إسم المونتيرة رشيدة عبدالسلام ضمن فعاليات الدورة الخامسة من «مهرجان أسوان لأفلام المرأة»، وتجواله في عواصم أوروبية مختلفة، حطّ وثائقي «الجنة تحت أقدامي» (إنتاج عبير هاشم . 90 د . 2020) للمخرجة الفلسطينية الأردنية ساندرا ماضي أخيراً في بيروت، وتحديداً في الدورة الرابعة من «مهرجان بيروت الدولي لسينما المرأة»، (بين 19 و23 تموز/ يوليو)، الذي ينظمه «مجتمع بيروت السينمائي».

سيعرض الفيلم، يوم الخميس المقبل، في «سينما أبراج» (فرن الشباك) تحت تيمة «نساء من أجل القيادة» التي تسلّط الضوء على دور النساء في مجتمعاتهن. يأتي عرض الفيلم ضمن برنامج غني يضم أكثر من 90 فيلماً حول العالم، تتنافس ضمن ست مسابقات. والمعلوم أن الوثائقي يتتبع قصص ثلاث نساء، في ألمانيا، وضاحية بيروت الجنوبية والبقاع، يختلفن في الشخصيات والأطباع، لكنهن يجتمعن في بحر المظلومية الواقعة على المرأة التي تُحرم من أولادها بحكم التشريعات، مع تركيزه على قضية الحضانة عند الطائفة الشيعية والمعاناة القاسية التي تتكبدها الأمهات في الإستحصال على حضانة أولادهن. كذلك، ينقل العمل بفجاجة مقصودة نضال النساء ومصارعتهن أقدارهن داخل جدران غرفهن، وتألّمهنّ في الظل.

عرض «الجنة تحت اقدامي»: 7:30 مساء الخميس المقبل ـ سينما «أبراج» (فرن الشباك)- للإستعلام: 01/280802

الحرب الأهلية بعيون النساء

«بقي حدا يخبر»، هو عنوان العرض المسرحيّ الذي تقيمه منظمة «كفى» غداً بالشراكة مع «هيئة الأمم المتحدة للمرأة في لبنان»، و«لبن». يسلط العمل الضوء على قضايا النساء وانشغالاتهنّ، ويتشارك معهن نظرتهن إلى الحرب الأهلية، وكيف أثّرت في واقعهنّ الحالي. المشروع الذي يقع تحت إطار «ذاكرة الحرب اللبنانية الأهلية من منظور جندري»، يرمي إلى توثيق شهادات النساء اللواتي عايشن الحرب، والمساهمة في صياغة التاريخ اللبناني عبر توثيق هذه الشهادات، بهدف «خلق مجتمع خالٍ من التمييز في حقّ المرأة، ومتصالح مع أجيال مختلفة من النساء».

عرض «بقي حدا يخبر»: س: 17:00 غداً ـ مسرح «دوار الشمس» (الطيونة) ـ للاستعلام :01/381290

الأخبار
al-akhbar

السبت 17 تموز 2021
العدد 4393 السنة الخامسة عشرة
Samedi 17 Juillet 2021 nº 4393 15ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

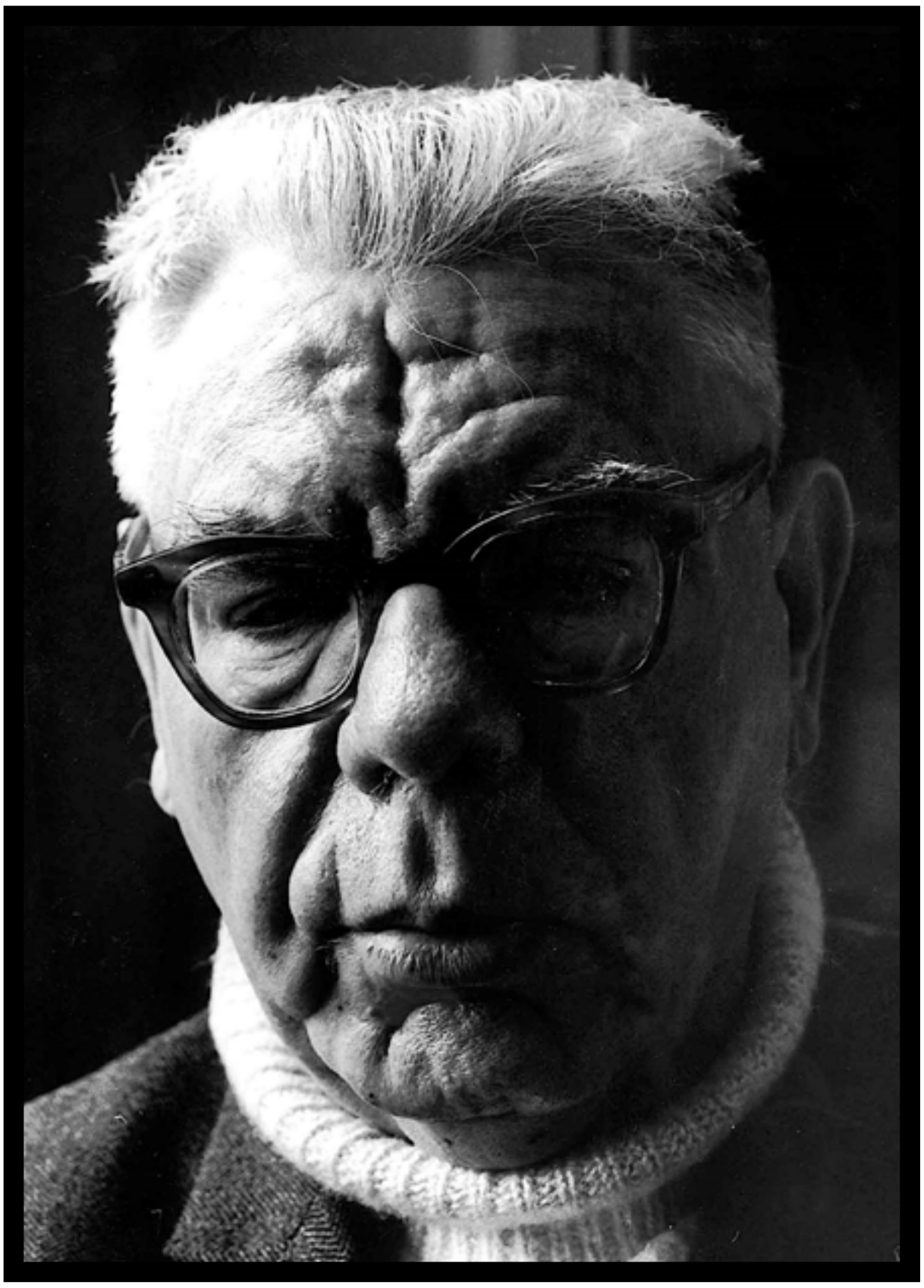

ميرتين أوكادهاين
مَن يَجرؤ على ترجمة أحاديث الموتى؟

سعيد محمد

لا خلاف بين النّقاد في إيرلندا على أنّ رواية «صلصال قذر في فناء الكنيسة» (The Dirty Dust) المنشورة عام 1949 هي أفضل أعمال النثر الأدبيّ باللّغة الإيرلنديّة على الإطلاق و«واحدة من أبرز إنتاجات الأدب الأوروبي المعاصر»، وتحفة تامّة «لا يمكن الجدال بشأن أهميتها» منحت كاتبها ميرتين أوكادهاين (1906-1970) مكانة الصف الأوّل بين الكتاب الإيرلنديين جنباً إلى جنب مع صموئيل بيكيت وجيمس جويس.

أوكادهاين الذي ولد لعائلة فلاحين يتحدثون الإيرلنديّة يقطنون الساحل الغربي الوعر للبلاد، سرعان ما طوّر وعياً اشتراكياً وشارك في تأسيس منظمة ناضلت من أجل حقوق الأرض واللّغة للإيرلنديين الصّغار. ولذا، فإن خياره الكتابة باللغة المحليّة لشعبه كان تجسيداً لمواقفه السياسيّة المعادية للاستعمار. ولكن على مدى ما يقرب من سبعين عاماً، ظل نصّ «الصلصال القذر» العبقري بعيداً عن متناول معظم القرّاء الإيرلنديين لأنه كتب بالغيلية أي اللغة الأصليّة للجمهوريّة، وهي لغة لا يتحدثها سوى عدد قليل منهم بعد خمسة قرون من الاستعمار البريطاني للجزيرة، الذي فرض لغته بلا هوادة كواحدة من أمضى أدوات الهيمنة الاجتماعيّة والثقافيّة على الإيرلنديين. لم يتم نقله إلى الإنكليزيّة إلّا منذ وقت قريب، أي بعد حوالى سبعين عاماً على ظهور الطبعة الأولى. سرت شائعات بأن أوكادهاين رفض السّماح بترجمة روايته إلى لغة العدو، لكن الحقيقة أن العقد الأصلي مع الناشر تضمّن فترة انتظار لسنتين قبل إمكان إطلاق نسخة مترجمة إلى اللّغات الأخرى. بذل الناشر بعدها جهوداً ملموسة للبحث عن مترجم يضمن المحافظة على قيمة النص وروحه بين اللغتين. لكن الأمر بدا مستحيلاً لأن جميع المؤهّلين للقيام بمثل تلك المهمّة، أشفقوا من تحمّل مسؤوليّة مواجهة نصّ متجذّر في ثقافة الإيرلنديّ كما «صلصال قذر في فناء الكنيسة»، لأن الإخفاق سيكون وصمة لن تزول أبداً. واضطر الناشر لإجراء مسابقة مفتوحة لاستقطاب مترجمين شجعان. بعد مراجعة نماذج عديدة تقدّم بها عديدون، منح عقد الترجمة إلى امرأة شابة. لكن والدتها أعادت العقد بالبريد وقالت في رسالة أرفقتها بأن ابنتها لن تقدر على الترجمة «لأنها ترهبنت، والتحقت بالدّير منذ أسابيع». وتعثّرت محاولات تالية لإقناع عدد من الشعراء والمثقفين الإيرلنديين بإنقاذ الموقف رغم أن ناشراً جديداً (كلو آير شوناخت) اشترى في عام 2009 أعمال الناشر الأصلي تحديداً للاستحواذ على حقوق «صلصال قذر». لم تفكّ اللّعنة إلا حديثاً بصدور ترجمتين متتابعتين إلى الإنكليزيّة، إحداهما صدرت في إيرلندا (كلو آير شوناخت)، فيما نشرت الأخرى في الولايات المتحدة عن (مطبعة جامعة ييل). ومع أن بعضهم وجد صدور الترجمتين في وقت متقارب نوعاً من إفراط في تصحيح الهفوة التاريخيّة، وبوابة عبور عالميّة إلى أعماق نص استثنائيّ كان لعقود مقصوراً على مجموعة قليلة من المتحدثين بلغة قديمة بالكاد استعيدت من حافة الانقراض، إلا أنّ تباين الترجمتين الشديد سبّب حيرة لدى القراء. وجد كثيرون أن لا مفرّ في النهاية من قراءة كليهما وربما بالتّوازي لاختبار قراءات متفاوتة لذات النّص العنيد.

«صلصال قذر» رواية مشغولة بالسخريّة السوداء لا أحياء بين شخصياتها ولا حتى أرواح هائمة. تبدو أقرب إلى سجل لثرثرات موتى جثثهم محتجزة في توابيتهم المدفونة بفناء كنيسة ريفية على الساحل الغربي لإيرلندا زمن الحرب العالمية الثانية. تتكشف القصة عبر حوارات مع وصول الموتى الجدد إلى المقبرة، حاملين أخبار الأحداث المحلية الأخيرة إلى أولئك الساكنين أبديّاً في توابيتهم. لقد ترك هؤلاء الراحلون وراءهم عالماً مُتخماً بالشقاء في الرّيف الإيرلندي حيث يحصل النّاس على رزقهم من خلال تنازع البطاطا مع التربة الصخرية، ومن ثمّ يقضون بقيّة أوقاتهم في المشاحنات المريرة والمهاترات التافهة مع بعضهم في قرى تأخذ هويتها من تضاريس الأرض القاسية. ولذا، فإن حوارات الموتى الغارقين في ذاتية خانقة تأتي بدورها متبّلة بالقيل والقال، والمغازلات، والحزازات، والادعاءات الفارغة والفضائح التي جلبوها معهم، وفي خلفيتها تتبدّى سخافة الحياة البشرية وتفاهتها كثيمة تجمع بين تجربتي الحياة والموت معاً.

ومع أن «صلصال قذر» رواية محليّة بامتياز، إلا أنّ صفاء محليتها هي سرّ عالميتها في آن: الانشغالات البشريّة التي يصفها موتى إيرلندا لا تكاد ـ عند تحييد اللغة ـ تختلف بأي شكل عن الانشغالات التي قد تسمعها من الأحياء رفاق مقهى في بيروت أو ركّاب حافلة في بكين أو رواد حانة في لندن.

حوار

ابتسام الوسلاتي: معارك بيرم التونسي من المستعمر إلى التيارات الرجعيّة

يمكن اعتبار ابتسام الوسلاتي أصغر الباحثات التونسيات، على عكس جيلها، اختارت دراسة الأدب التونسي في مرحلته التأسيسية بداية القرن العشرين التي شهدت ظهور شعراء سعوا إلى تجديد الأدب. فترة شهدت ولادة أول رواية تونسية كما «مجموعة تحت السور» التي شكّلت تمرداً على السياق الثقافي التقليدي سواء في الكتابة أو في نمط العيش. كتابها الأوّل كان حول الشعر التونسي («في الشعر العصري التونسي (1900-1930)» ـ صدر عام 2007). وفي السياق نفسه، أصدرت في العام الماضي كتاباً مرجعياً بعنوان «الهامشية في الأدب التونسي: جماعة تحت السور نموذجاً». عملها الثالث صدر قبل أيام بعنوان «محمود بيرم التونسي: الصورة وفتنة المتخيل» (دار الجنوب). وكانت ابتسام الوسلاتي قد افتتحت مسيرتها العلمية ببحث ماجستير حول مظاهر الجدة في الشعر التونسي. الهاجس الذي يقود هذه الباحثة الشابة هو الحفر في المدونة الأدبية التونسية باعتماد مناهج النقد المقارن بحثاً عن مظاهر التجديد في الأدب التونسي. مبحث لا يُقبل عليه الجامعيون، خصوصاً الشباب المفتونين بدراسة السرد والأسلام المبكر وغيرهما من المباحث ذات الصلة. هكذا تبدو ابتسام الوسلاتي كطائر يغرّد خارج السرب ويسبح في المياه النادرة. على سبيل المثال، في «جماعة تحت السور» التي جمعت بين «هامشيين» تمرّدوا على السلطة الرمزية لـ «جامع الزيتونة» في الثلاثينات سواء في طريقة الكتابة وبناء النص او التمرد على المجتمع المحافظ والتقليدي، اسهمت بشكل كبير في المسرح والقصة والصحافة (من ابرز اعلامها محمود بيرم التونسي). ورغم اسهامها في تطوير وتجديد الأدب والصحافة، لم تحظ إلا بدراسة سطحية لم تنجح في إبراز دور هذه الجماعة في تاريخ الأدب التونسي. تصدّت ابتسام الوسلاتي لهذا النسيان والتجاهل الذي لحق بـ «مجموعة تحت السور» بكتاب انصفهم وابرز إسهاماتهم الكبيرة. اعتبرت ابتسام الوسلاتي ان هذا التوجه النقدي الذي اختارته هو محاولة لإنصاف لـ «جماعة تحت السور» ولمحمود بيرم التونسي. وبهذا تكون هذه الباحثة الشابة اختارت مسلكاً صعباً في الجامعة التونسية، فالأدب التونسي، وخاصة في مرحلته التأسيسية، لا يلقى إقبالاً كبيراً ولا اهتماماً. هنا لقاء مع الباحثة حول عملها الجديد ومحمود بيرم التونسي ودوره في «جماعة تحت السور».

تقديم وحوار **انيس الشعبوني**

■ ما هي خصائص التجربة الإبداعيّة لبيرم التونسي (1893 ــ 1961) في السنوات التي قضاها في تونس؟

ـ لقد أمضى محمود بيرم التونسي في تونس فترة لا تتجاوز خمس سنوات اتسمت بغزارة الإنتاج وبمشاركته في مختلف الأحداث الثقافيّة التي عرفتها تونس خلال ثلاثينات القرن العشرين. اكتسب إنتاجه الإبداعي خصوصيّة خلال تلك الفترة مردُّها قدرته على التغلغل في أعماق المجتمع التونسي حتّى يخيَّل للمتلقي أنّ بيرم ولد وعاش في هذا البلد ولم يفارقه قط. وإنّ جلّ أشاره النثريّة والشعريّة والزّجليّة وحتّى ملزوماته التي كان ينظمها بالعامية التّونسيّة كانت تؤكد اصطباغ تجربته الإبداعيّة

> **أهمّ خصوصيات مرحلة الثلاثينات أنّ الصحافة كانت وعاء احتضن الإنتاج الادبي للمبدعين**

عن مسايرة ركب التطوّر والحداثة. وكانت السمة الغالبة على مختلف أعماله، تتمثل في تونسة مواضيعه بشكل خلق لبيرم قاعدة جماهيرية عريضة في صفوف التونسيين.

■ بماذا تفسّرين عدم تعاطي بيرم مع فنانين تونسيين رغم أنّ «جماعة تحت السور» ضمّت فنانين أمثال الهادي الجويني والصادق ثريا؟

ـ لا أملك تفسيراً دقيقاً للأمر، ولكن بالعودة إلى حضور بيرم في المشهد الثقافي التونسي، نلاحظ أنّ نشاطه الصحافي كان الأبرز، بخاصّة أنّه كان المصدر الوحيد للدخل. وتشير المراجع إلى أنّه بعد انقطاعه عن جريدة «الرّمان»، دخل في بطالة واقتصر نشاطه على مراسلة بعض الصحف المصريّة وخوض غمار مشاريع تجاريّة فاشلة كإعداده حلويّات يدلز التركيّة. ولم تقع الإشارة إلى مشاركة بيرم في النشاط الفنّي سواء الأغنية أو المسرح. وقد يفسر ذلك أيضاً بقصر مدّة إقامته في تونس.

■ أي تأثير لتجربة المنفى في المسار الإبداعي لبيرم التونسي عند عودته إلى مصر؟

ـ بالعودة إلى سيرة حياة بيرم، نجد أنّه أخلص للفنّ والإبداع ولم يرضَ عنهما بديلاً ولا عوضاً. تحمّل في سبيل ذلك النفي والتشرد، وقضى أجمل سنوات العمر في الغربة، فقد آمن أنّ الأدب رسالة يجب أن يؤدّيها، وكانت الغربة الضريبة التي دفعها نتيجة مواقفه الجريئة. فقد انتمى بيرم إلى الفئة التي تلعب أدواراً طلائعيّة في المجتمع وتحتل أدوار القيادة باعتبارها مجموعة من العقول النابضة داخل المجتمعات تفرض نفسها بما تملكه من وعي. فكانت حياة هذا المبدع سفراً من منفى إلى منفى. عاش حياته على وقع الغربة، التي فرضت عليه فرضاً، وليم يكن يملك من أمره شيئاً، ولكنّها لم تولّد في داخله شعوراً بالاغتراب بمعناه الوجودي بوصفه حالة من العزلة واليأس والإحساس بالعجز والانفصال عن الذات وعن الآخرين بقدر ما شكّلت الغربة عنده دافعاً للاندماج في المجتمع والمشاركة في عمليّة التغيير.

صهرت تجربة المنفى شخصيّة بيرم، هذا ما وسم كتاباته بطابع النّقد الاجتماعي والدعوة إلى الرقيّ حتّى آخر رمق في حياته التي قامت على النضال والكفاح في سبيل الدفاع عن العدل والحريّة، فقد انتصر للشعب وناصر قضاياه العادلة. وبعد عودته للاستقرار نهائياً في مصر، واصل المسار ذاته وإنْ مذكراته التي كتبها في آخر حياته تؤكد حجم المعاناة التي عاشها في منفاه فقد تجرّع مرارة العذاب والشقاء بسبب مواقفه المنددة بالظلم والطغيان، كلّ هذا طبع إنتاجه بعد عودته إلى مصر بطابع الجدّة والطرافة حيث واصل الخطّ ذاته المتعلق بالنقد الاجتماعي من خلال مقالاته الصحافيّة والمسرحيّات الغنائيّة. كما كانت له إسهامات عديدة في كتابة الأغاني. ولتجربة المنفى دور أساسي في تغذية موهبة بيرم الاستثنائية، فقد شكّلت الكتابة سبيله للمقاومة والنضال ضدّ المستعمر والتيارات الرجعيّة التي تعرقل مسار المجتمعات العربيّة نحو التطوّر.

■ يندرج كتابك «محمود بيرم التونسي: الصورة وفتنة المتخيّل» في سياق دراسة الصورة الأدبيّة للآخر. ما هي خصوصيّة تشكّل صورة الأنا والآخر في الآثار التي كتبها محمود بيرم التونسي في المنفى الفرنسي؟

ـ لقد حاولنا من خلال هذا الكتاب تقديم مقاربة جديدة لآثار بيرم التي كتبها في المنفى من خلال تسليط الضوء على ابعاد العلاقة بين الأنا والآخر من منظور مقارنيّ. فقد طُرح موضوع الأنا والآخر على اعتبار أنّه قضيّة أدبيّة بامتياز، ومحور جوهريّ مصوّر لطبيعة العلاقة بين الشرق والغرب، وقد ارتأينا مقاربة هذه العلاقة بين الأنا والآخر بالعودة إلى خصوصيّة حضورها لدى هذا المبدع. فقد كان بيرم منخرطاً في سياق رؤية تؤمن بالحوار والتعايش السلمي بين الأنا والآخر، بعيداً عن التعصب والكراهية وقتل الآخر المختلف، والترويج لمقولات الآخر العدو الذي يُصوّر كخطر يهدد وجودنا، لذلك لا بد من القضاء عليه.

إنّ الناظر في طبيعة السياق التاريخي خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، يلاحظ أنّ هذه المرحلة تميّزت بتنوع استجابات المفكرين العرب للفكر الغربيّ، وطرح سؤال متعلّق بالنهضة وبطبيعة علاقة الأنا العربيّ بالآخر الغربيّ فكراً وتاريخاً وثقافةً وحضارة. لم ينخرط بيرم في موقف عدائي من الحضارة الغربية، بل اتّخذ مسافة نقديّة جعلته يعي الفروقات الكامنة بين طبيعة السّياق الذي نشأت فيه الأفكار والنظم والقيم الغربيّة والسياق العربيّ بمختلف مشكلاته. عمد إلى النقاش والحوار وعدم تقبّل ما تطرحه الحضارة الغربيّة. ولم ينس وهو في باريس أنّه رجل شرقيّ وأنّ إعجابه بمظاهر التقدّم والتمدّن لا يعني الذوبان في الآخر، وهذا التصوّر كان جوهر الفكر الحداثيّ العربيّ.

■ لماذا انقطعت صلة بيرم بتونس تقريباً بعد عودته إلى مصر؟

ـ لم تنقطع أخبار بيرم عن أصدقائه من إخوان الصّفا. ووفاء منهم لهذه الشخصيّة، التزموا بنشر رسائله والتّعليق عليها رغبة في إنصاف هذه الشّخصيّة وتأكيداً لقيمتها الفكريّة والأدبيّة. وقد حاول بيرم رغم ظروفه الصعبة الإبقاء على صلته باصدقائه في تونس، وكان يوافيهم بأخباره وبمختلف الأماكن التي يستقر بها. فقد أخلص «جماعة تحت السّور» الحبّ والمودّة لمحمود بيرم التّونسي وظلّت على عهدها معه بعد رحيله، فهو يعتبر نموذجاً لما يمكن أن يعيشه المبدع من معاناة وألم في سبيل تبليغ رسالته بسبب سعي رموز التّخلّف والرّجعيّة إلى إحباط أيّ مشروع فكري أو أدبي أو فنّي يبحث عن الاختلاف والتميّز. وقد آمنت هذه الجماعة أنّ المصير الذي لاقاه بيرم، يمكن أن ينسحب على أيّ فرد من أفرادها ممّا زادهم إكباراً لشخصيّته وإعجاباً بإصراره على مواصلة الكفاح. ولكن هذه الجماعة لم تعمر طويلاً، فسرعان ما انفرط عقدها بعد موت بعض أفرادها، وتنحدث هنا عن محمد العربي وعلي الدوعاجي. وكانا من الأصدقاء المقرّبين لبيرم في تونس والبعض الآخر اختار سبيلاً جديداً في الحياة والإبداع، فانقطعت الصلة بينهم وبين بيرم بسبب.

■ ما هو حجم حضور بيرم في «جماعة تحت السور»؟

ـ سؤال مهم جداً شكّل مدار اختلاف بين الباحثين حول الدور الذي لعبته هذه الشخصيّة وحجم الإضافة الذي حقّقته لـ «جماعة تحت السور». وبالعودة إلى تفاصيل الأحداث التي حصلت خلال تلك الفترة، نجد أنّ وصول محمود بيرم إلى تونس كان في أواخر كانون الأول (ديسمبر) سنة 1932 وفوجئ بالترحاب الكبير الذي لقيه. ذلك أنّ شهرته قد سبقت حضوره، في ظلّ الانفتاح على الصّحافة الشّرقيّة التي حوّلت للمبدعين التعرّف إلى الحركة الأدبيّة في مصر وفي غيرها من أقطار الشّرق العربيّ. وكان لوجود بيرم في تونس وقع شديد في الأوساط الأدبيّة، خاصّة أن أفكاره تتماشى مع متطلّبات المرحلة الحاسمة التي تمرّ بها البلاد، ذلك أنّها أفرزت جيلاً جديداً مؤمناً بضرورة تغيير الهياكل التّقليديّة سواء السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، وفي المقابل يدعو إلى إحلال نظم بديلة تستجيب للمتغيّرات الحاصلة على أرض الواقع. وقد عرفت هذه الأفكار الجديدة قمعاً، وتعرّض أصحابها للإقصاء والتّهميش من طرف الأجهزة الرّسميّة المهيمنة. فولدت من رحم الأزمة حالة فكريّة كرست معنى الثورة على السائد والمألوف، فكان التغيير في المبنى الثقافي هو العتبة لتحقيق التغيير على المستويين السياسي والاجتماعي. وبالتّالي كان وصول بيرم إلى تونس في ظروف متميّزة بحراك مجتمعي في الميدان السّياسيّ والإجتماعيّ والاقتصاديّ وكانت الشّبيبة الجديدة تتصارع في هذه الميادين مع الرّجعيّة ومع الاستعمار.

وقد تعرّف بيرم على الوسط الثّقافيّ التّونسي، وتردّد على مختلف منتديات الأدب، وانخرط في صفوف «جماعة تحت السّور». وباعتبار هذا التّقارب الفكريّ والرّوحيّ والنّفسيّ الحاصل بين الطرفين، فقد أنس بيرم بـ «جماعة تحت السّور» وآنست به، فواظب على حضور جلساتها وسهراتها التي استوعبت فنّه وجنونه وإبداعه. وكان التّفاعل متبادلاً بين الطّرفين، ممّا أثمر أعمالاً أدبيّة وفنيّة وصحافيّة حقّقت صدى واسعاً في صفوف الشّعب. وكانت شخصيّة محمود بيرم التونسي قطب الرحى في «جماعة تحت السور»، فكان أكبرهم سنّاً حيث ناهز الأربعين حين التحاقه بالجماعة، وكان أكثرهم خبرة وتجربة وكانت علاقته متينة ببعض أعلامها حد التلازم اليومي. من ذلك أنّ الدوعاجي كان معجباً ببيرم شديد الإعجاب وقد اغتنم فرصة اتّصاله به، فاستعار منه بعض المجلات العربيّة ليطالعها، هذا ما خوّله التعرف على الحركة الأدبيّة في الشرق العربي.

■ كانت الهامشية في الأدب التونسي مدار اهتمامك في كتابك حول تجربة «جماعة تحت السور». هل كان ظهورها في الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي موجة عامة أم تجربة تونسية فقط؟

ـ الهامشيّة لم تكن خاصية المجتمع التونسي دون غيره من المجتمعات قديماً أو حديثاً، ولكن أفراد «جماعة تحت السور» كان لهم خصوصيّة في مستوى تبنيهم لهذه الرؤية. ومن هذا المنطلق، فإنّ الهامشيّة لم تكن خاصيّة مجتمع دون آخر بقدر ما يكمن الإشكال في خصوصية الهامشيّة في هذا المجتمع أو ذاك. فقد ارتبط مفهوم الهامشيّة بالتحوّلات الاجتماعيّة التي شهدها المجتمع التونسي على الصعيد السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ والثّقافيّ. وبذلك يمكن اعتبارها نتيجة لتجديد المجتمع وتحديثه، ممّا أدى إلى تصدّع مكوّنات النسيج الاجتماعيّ، فهي ليست حركة مجانية وهذا عين ما كرّسته «جماعة تحت السور»، حيث تميّزت هامشيّتها ببعدها الوظيفي لأنّها تجاوزت النّقض حتّى تعيد البناء من جديد، فكانت محاولة لتقنين الرفض والمقاومة للدفع نحو التغيّر الاجتماعي. سعت إلى التجاوز في سبيل التأسيس لرؤية مغايرة تستمد مشروعيتها من طبيعة تموقع هؤلاء المبدعين على الهامش وانتمائهم إلى عالم «قاع المدينة» الذي يؤسس لعلاقات خاصّة تجمع بين أفراده، فيخلقون عالماً مغلقاً ومنكفئاً على ذاته له نمطه المعرفيّ والقيميّ ومنظومته المعياريّة ومرجعيته السلوكية التي تختلف عن المركز وتمارس من موقعها على الهامش فعل الاحتجاج، وكان الأدب هو المجال الذي عبّر من خلاله أفراد الجماعة عن رؤيتهم.

■ هل تم جمع وتدقيق منجز بيرم كاملاً و«جماعة تحت السور»؟

صدرت مجلدات عديدة ضمّت الأعمال الكاملة لمحمود بيرم التونسيّ وضعها أصحابها بهدف جمع تراث هذا المبدع المنثور هنا وهناك في الصحف والمجلات. لا فرق في هذا بين الباحثين المصريين والتونسيين، فكلاهما كان همّه إثبات النّصوص التي كتبها بيرم. علماً أنّ أغلب الباحثين المصريين يهملون الفترة التي قضاها بيرم في تونس ويمرّون عليها مرور الكرام، على الرغم من غزارة انتاجه حينها. وهذا ما حدا بالعديد من الباحثين في تونس أمثال محمد صالح الجابري وفوزي الزمرلي وغيرهم لتلافي هذا النّقص الحاصل في جمع تراث هذا المبدع بالتركيز على إنتاجه في الصحف التونسيّة خلال الفترة التي قضاها في تونس. إلاّ أنّ هذا التراث ما زال يحتاج إلى مزيد التدقيق والتمحيص نظراً إلى وجود نصوص محل خلاف، وقد حظيت بعض النصوص البيرمية بعناية الباحثين ودور النشر، نذكر على وجه الخصوص الأزجال. ولكن في المقابل، هناك نصوص لم يقع الالتفات إليها اشتغلنا على بعضها في كتاب «محمود بيرم التونسي: الصورة وفتنة المتخيّل». والأمر ذاته يطرح أمام الباحث في منجز «جماعة تحت السور»، ذلك أنّ من أهمّ خصوصيات مرحلة الثلاثينات أنّ الصحافة كانت وعاءً احتضن الإنتاج الأدبي للمبدعين. وعلى الرغم من الجهود التي قام بها عدد من الباحثين أمثال توفيق بكار وعز الدين المدني وبوشوشة بن جمعة وغيرهم لجمع شتات هذه النصوص المبعثرة والمجهولة، إلاّ أنّ الكثير من النصوص ما زال بين طيات الجرائد والمجلات الصادرة حينها. لذلك كان لا بدّ من العمل على حمايتها من الضياع والبلى لأنّها تضمّ تراثاً إبداعياً زاخراً يستدعي التوقف عنده وتصفّحه بأناة وصبر.

> **ولم ينس وهو في باريس أنّ إعجابه بمظاهر التقدّم والتمدّن لا يعني الذوبان في الآخر، وهذا التصوّر كان جوهر الفكر الحداثي العربي**

ابتسام الوسلاتي: لتجربة المنفى دور اساسي في تغذية موهبة بيرم التونسي الاستثنائية

فصل من رواية

القاهرة - 2045م (*)

طارق إمام

يتذكر أوريجا أنه كان طفلاً حين قتل أباه بهذه الطريقة: الصق إصبعاً بجبهته، متخيّلاً أنه مسدس، وأطلق دوياً من فمه «بوم».

كان الطفل على وشك أن يضحك لهذه التمثيلية الطفولية. كان على وشك أن يطلب إعادتها بعد أن يغلق أبوه عينيه مفتعلاً الموت ويفتحهما، لكنه لم يفعل، لأن الأب لم يفتح عينيه أبداً. أشرقَ ثقبٌ في جبين الرجل، ثقبٌ حقيقي، عميقٌ وغائر، انفجّرت منه على الفور الدماء، الدماء الحقيقية، الداكنة والثقيلة والزلِجة.

أول ما فكر فيه الطفل فور أن سقط رأس أبيه فوق صدره، أن يسترد إصبعه، كأن ذلك كفيل بإعادة الرجل إلى الحياة التي كان قد غادرها بالفعل.

وبأنانية الطفل الذي خشي أن يُفقده الموتُ لعبته، أعاد على الفور السبابة إلى يده، بالطريقة التي يُخفي بها قاتلٌ سلاحه، تلك الطريقة التي لا يمكن لطفل أن يعرفها، لكن الخطر يُعلم الجميع كيف ينجون إذا ما أصبحوا قتلة.

منشغلاً قليلاً عن أبيه القتيل، ظل يتأمل الإصبع الذي ينبعث الدخان من تحت إظفره، باحثاً ـ بما يتيحه وعي سنواته الخمس ـ عن الطريقة التي يمكن بها أن يصبح فوهة.

سيظل ينظر إلى هذا الإصبع، سيظل يُشهره كلما فكر في قتل شخص، أو في قتل نفسه، وقد أدرك للأبد أنه أكثر من مجرد تهديد: أنه يكفيه أن يقرر، لتنطلق الرصاصة.

الآن، وبعد مرور خمس وعشرين سنة، يتأمل أوريجا الإصبع نفسه، والذي دون سبب رفض أن يكبر بعد ذاك المساء البعيد من سنة 2020، محتفظاً بأبعاده لحظة القتل. إصبعه المجرم، الذي ظل بريئاً في يده، ظل إصبع طفل.

لقد عاد ليتذكر تلك الواقعة بسبب المرأة الأجنبية التي يجلس قبالتها الآن. إنها المديرة الفنية «لجاليري شُغل كايرو» ساحة فنون المدينة»، حيث تُقدم أوريجا لنيل منحة.

«المِنَح»، هكذا يطلقون عليها. المِنَح ولا شيء آخر، وكان تلك الكنية التي يعوزها الاسم لتكتسب جدواها، كانت في ابتسارها هذا هوية مكتملة.

لقد صافحته للتو. حانت منها نظرة خاطفة لتلك السبابة القزمة بين الإبهام والوسطى، وعندما دفنت كفها في كفه أحس بيدها تتلمس الإصبع القاتل. يحدث ذلك مع أي شخص يصافحه لأول مرة، خاصة حين يكتشف أن الإصبع ليس مبتوراً، وليس ضامراً أيضاً: إنه وحسب عضو قرر ألا يغادر طفولته، فيما ترك بقية الجسد تتمدد في العالم. ذات يوم سيشيخ ذلك الجسد، ثم سيفنى، فيما سيواصل إصبعه طفولته، كأنما بقدرته على القتل حصل على أبدية خالصة، لا يهددها التراب.

تباطأت يدها وهي تنسحب من يده، كأنها، بتلكؤها هذا، تمنح إصبعه ما يكفيه من الوقت ليُدلي باعتراف، ولذلك كان هو من نزع يده، رغم إدراكه أن هذا يجافي اللياقة. بدوره، ألقى نظرة على الإصبع الذي نجا من جديد، كأنه، بنظرته تلك، تأكد أنه لم ينطق.

ها هو يجلس قبالتها وقد استعاد يده، متأملاً للمرة الأولى صفاء عينيها الزرقاوين حد أنهما تُشعران الجالس قبالتها أن هذا هو لون نظرتها.

بينهما سطح مكتب، شاسعٌ لدرجة أشعرته لوهلة أنه يفصل بين شخصين يحيا كل منهما في عالم مختلف. كان المكتبُ عبارة عن طاولة دائرية بدت منسجمةً مع الدائرة الأكبر التي تمثلها الغرفة، تتوسطها فجوة ضيقة تمثل مركزها المُفرغ، تجلس فيها المسز متخبطة بحوافها المحكمة التي تُلامس جسدها، والتي تسمح لها بالكاد بتحريك مقعدها. كان أوريجا يؤمن بذلك، وقد أشعرته لحظات الصمت، بينما يتأمل المسز، أن هذه المرأة كبرت بما يكفي لتعود طفلة.

يغدو النّاسُ أشد شبهاً بصور طفولتهم عندما يصبحون عجائز. يسهل التعرف إلى ملامحهم القديمة في الصور، كأن الأطفال يولدون فقط لكي يشيخوا، وفقط في هذه اللحظة، يعرفون أي وجه يمتلكون. كان أوريجا يؤمن بذلك، وقد أشعرته لحظات الصمت، بينما يتأمل المسز، أن هذه المرأة كبرت بما يكفي لتعود طفلة.

على محيط المكتب تتراصّ مجسمات متنافرة كلها من المصغرات، بدت له تعاويذها الخاصة لطرد الأرواح الشريرة. بينها لمح أوريجا ماكيت لبرج القاهرة. آثار رعدةٌ في أوصاله فور أن رآه، مبتعثاً من جديد طفولته التي يحاول منذ دخل هذه الغرفة إزاحتها، ويبدو كل ما فيها مُصِرّاً على ألا ينجح. بداخل حقيبة يده الصغيرة التي يعلقها بوضعية كروس الآن، كان أوريجا يحتفظ بنسخة طبق الأصل من هذا المجسم، وبنفس مقاييسه.

كان الحائط المقوس خلف ظهر المسز شاحباً، كأنه استمدّ لونه من وجهها. في منتصفه، أعلى رأسها بالضبط، عُلّقت داخل إطار دائري صورةٌ قديمة بالأبيض والأسود لوجه طفلة، لم يساور أوريجا الشك في أنه وجه تلك المرأة قبل سنوات بعيدة يصعب تخمين عددها.

طفولتهم عندما يصبحون عجائز. يسهل التعرف إلى ملامحهم القديمة في الصور، كأن الأطفال يولدون فقط لكي يشيخوا، وفقط في هذه اللحظة، يعرفون أي وجه يمتلكون. كان أوريجا يؤمن بذلك، وقد أشعرته لحظات الصمت، بينما يتأمل المسز، أن هذه المرأة كبرت بما يكفي لتعود طفلة.

يغدو النّاسُ أشد شبهاً بصور طفولتهم عندما يصبحون عجائز. يسهل التعرف إلى ملامحهم القديمة في الصور، كأن الأطفال يولدون فقط لكي يشيخوا، وفقط في هذه اللحظة، يعرفون أي وجه يمتلكون. كان أوريجا يؤمن بذلك، وقد أشعرته لحظات الصمت، بينما يتأمل المسز، أن هذه المرأة كبرت بما يكفي لتعود طفلة.

أجال النظر بين صورة المسز المُعلقة على الحائط ووجهها، وبطريقته في عكس الأشياء، تخيل: ماذا لو كان الوجه في الصورة هو الحي، والوجه في الحاضر هو الميت؟ وسأل نفسه: لو أن أحد هذين الوجهين هو الوجه الحقيقي لتلك المرأة والآخر هو الزائف، أيهما سيختار؟

ظل صامتاً، بينما يُقلب أسئلته الوسواسية بسرعة ليصل إلى حلول نهائية قبل أن يقطع كلامُ المسز الصمت. وكان أوريجا قد تعلم أن أي شخصين يتقابلان للمرة الأولى يظلان صديقين إلى أن يبدأ أحدهما بالتحدث.

من جانبها، منحته المسز ما يكفيه من الصمت بعد جلوسه إلى المقعد الدائري المخصص له على قوس المكتب، بانحرافةٍ مائلة لا تجعلهما أبداً في مواجهةٍ مباشرة. بدا أنها تجيد التواطؤ على تلك اللحظات الثقيلة التي يُكون فيها الناس صورتهم الأولى عمن يقابلون، والتي كثيراً ما تكون هي نفسها صورتهم النهائية.

- ماكيت القاهرة مشروع فني طموح.. يهدف لتشييد ماكيت مصغر للمدينة، بنسبة محددة هي 1: 35. بإتمامه ستنهض نسخة كاملة طبق الأصل من القاهرة في لحظة تاريخية محددة.

كانت هذه العبارة أول ما نطقت به المرأة. وهنا اكتشف أوريجا أنها منذ دخوله الغرفة وحتى الآن لم تكن نطقت حرفاً ولو على سبيل الترحيب.

سينصّت لها بدءاً من الآن، حيث يُفترض أن يبدأ إنترفيو، حيث ينبغي أن يقدم نفسه بأفضل شكل، أن يُقنع تلك المرأة، تلك «المسز»، أن لا أحد بوسعه تزييف قلب القاهرة أفضل من هاتين اليدين، اللتين لم تُقدما نفسيهما بأفضل صورة، لأن في إحداهما، في اليمنى بالذات، ثمة سبابة لم تكبر.

- يدشن الجاليري ماكيت القاهرة كمشروع استعادي، جوهره إحياء ذاكرة المدينة. إنه أحد المشاريع المستدامة للجاليري». والنسخة الجديدة ستحمل عنوان ماكيت القاهرة 2020». بهدف توثيق صورة العاصمة المصرية السابقة قبل ربع قرن من الآن.

ربع قرن. بدا له التعبيرُ مخيفاً، أما الذاكرة الوحيدة التي أحيتها كلمات المسز فيه، فكانت ذاكرته الفردية.

- ربما كنتُ أنت حينها لا تزال طفلاً.

- كنتُ في الخامسة.

نظرت تلقائياً لإصبعه، لكنها ما لبثت أن استردت نظرتها، لتصمت مطولاً كأنها تمنحه الوقت الكافي ليتأمل ما قالت. لكن أوريجا لم يفكر في كلماتها، بل استغرقه صوتها. ذكره بإيقاع فصحاه مع لكنته الشامية ونبرته الحادة الرفيعة بدوبلاج أفلام طفولته المعربة، ليُضاعف من ارتداده لصور ماضيه. ولأحظ أن ثمة كلماتٍ بعينها تنطقها هذه المسز بصوتٍ مضخم يمكن التعبير عنه إذا نُقل لنص أدبي بتمييزه بفوتن بولد.

أخيراً رفعت يديها المتقاطعتين عن المكتب، لتظهر من تحتهما بطاقتان مقلوبتان على ظهريهما، كأنها كانت تخبئ ورقتي لعب. بالفعل بدتا لأوريجا كورقتي كوتشينة متطابقتين، خاصة وأن المسز أزاحتهما متقاطعتين نحوه بحفيف زاحف على الخشب، ما أشعره أنه في مقامرة. ودون أن تطلب، قلب أوريجا البطاقتين ليكشف وجهيهما، كأنه فهم قانون اللعبة مباشرة.

كانتا صورتين فوتوغرافيتين: إحداهما للجاليري الحقيقي، والثانية لنسخة مصغرة مقلدة من نفس الجاليري، وقد صُورتا بزاوية تجعلهما بالحجم نفسه في الصورتين. مع نظرته الأولى أدرك أوريجا أنهما تخصانه.

حسبما أعلنت المنحة، سيتم توزيع من سيقع عليهم الاختيار لإتمام ماكيت مكتمل، بحيث يتولى كل منفذ تشييد حي أو منطقة كوحدة عمرانية. في خانة فرعية، تُرك للمترشح حق اقتراح المنطقة «التي يرى أنه جدير بتمثيلها كصانع مصغرات» حسب نص الشروط والأحكام.

دون تردد كتب «وسط البلد»، ما يعني قلب القاهرة، بما في ذلك الجاليري الذي يجلس بداخله الآن. منذ وُلد لم يعش أوريجا خارج وسط البلد، إنه مكتوب في شهادة ميلاده كمكان للولادة، وهو ما يُتاح لعدد قليل جداً من الناس، وبخاصة لو كانوا فقراء. كان وطنه، حتى أن خروجه لأي حي آخر في القاهرة كان بمثابة سفر مرهق لأرضٍ مجهولة تتحدث لغةً أخرى.

اشترطت استمارة الترشح إرفاق «صورة مجسم فني داعم» يمثل ماكيتاً لأحد أبنية المنطقة التي يرغب المترشح في أن يكون منفذاً لها، بحيث يعرض مهارته في محاكاتها. كمقامر يدفع بكل أوراقه في لعبة واحدة، قرر أوريجا أن يكون هذا النموذج هو جاليري شُغل كايرو نفسه.

ماكس إرنست «المدينة بأكملها» (زيت على قماش بتقنية الفروتاج، 1935-1936).

قصة

في سجن القاووش

محمود شريح *

كنتُ مستلقياً على ظهري وأنا على بساط من قشّ خفيف وعيناي تحدّقان في السقف حين فجأة شاهدتُ بطرفِ عيني اليُمنى أحدَ نزلاء القاووش الثالث، في العنبر السابع ـ من السجن المركزي ـ وفيه غيري اثنان وسبعون نزيلاً ـ يزحفُ صوبي على بطنه ثم همسَ في أذني عرفتَني؟ قلت لا. قال أنا فلان. تذكّرت أنه من حاولَ اغتيال وزير بأن أطلقَ النارَ عليه ولم يُصبْه فألقي القبضَ عليه وأُودِعَ السجنَ منذ دهرٍ سحيق، فقام وأحضرَ بساطه وصارَ جاري فطارَ النومُ من عينيّ ليلاً فصرتُ أحْلدُ بي قيلولة نهاراً لأعوّضَ عن خسائر ليلي من أرقي. ثم إني اعتدتُ على جاري هذا، إذ أني وجدتُ فيه سدّاجة ما أعادَ إليّ توازني، فصرتُ أنامُ ليلاً وأراقبُ حركةَ النزلاء نهاراً، فكانوا، بغرض ترويض السيقان، يذرعونَ القاووشَ جيئةً وذهاباً، زرافاتٍ ووحدانا.

وذاتَ صباحٍ وأنا أسطّر رأيي بفيلم «الوسادة الخالية» لحافظ مصر ولُبنى عبد العزيز لأقول إنه خير شاهد على صعود الرومانس وانهياره من المحيط إلى الخليج، كنتُ أُدندنُ لحنَ «أسمر يا اسمراني»، مبدأ الفيلم ومنتهاه، دنا منّي نزيل وسألني: هلّا علّمتَني الكتابة؟ فاستغربتُ أنّ بين هذه الجموع أُمّيّاً، لكن أسعدَني طلبُه وقلتُ له: إنّ غداً لناظره قريب، فلا عجلة ما دُمنا في السجن قابعين، وإلى حين.

صباحَ اليوم التالي، جيء لكلّ منّا بكوب شاي وكسرة خبزٍ وقبل أن يخرجَ ناظرُ القاووش من تفقّدنا أوصيتُه بقلم وورق على أن يُسدّدَ سعرَهما من حسابي الجاري من علب سجائري، فالحسبةُ في القاووش قائمةٌ على التعامل بالقياس إلى موجودات النزيل من السجائر، فالفلوسُ محظورُ التداول بها داخلَ السجن، والسجائر كانت تأتيني بها والدتي يوم زيارتها لي ظهر كلّ يوم خميس، فتتحدّث من خلف أسلاك معدنية، لخمس دقائق، ليس إلّا. فما أن أعودَ إلى القاووش حتّى تصلّني منها السجائر، مع أحد حرّاس السجن، مرفقةً كالعادة، كلّ ظهر يوم خميس، بفرّوج ساخن مع عدّته من خبزٍ وثوم وحمّص وخضار، فيتحلّقُ حولي عددٌ لا بأس به من النزلاء، نلتهم الفرّوجَ وعدّته ونتقاسمُ السجائر وأنا قانعٌ راضٍ، ذلك أني طيلة إقامتي معهم لم يزرْهم أحد ولا وصلهم قوتٌ، فكان قوامُهم إفطاراً كوب شاي وكسرة خبز صباحاً وغداءً عدساً ظهراً وعشاءً حساءً خضاراً ليلاً ثم الخلود إلى النوم فيما المصباح الكهربائي ينيرُ جفونَنا حتى مطلع الفجر فكأن يضيءُ الأذهانَ الليلَ بطوله.

ومع مرور الوقتِ ووضوح رؤيتي للقاووش ونزلائه انتبهتُ إلى أن سبعةَ نزلاء يتربّعون ليلَ نهارَ في إحدى زوايا القاووش الأربع ويتحدّثون هامسين وهم قانطون، فلا يُسمع لهم صوتٌ لكنّ حركاتِ أصابعهم في الفضاء تشيرُ وكأنّهم يتهدّدون أو يتوعّدون وبدا لي كأنّهم يعدّون لانقلاب ما. ثم إني نسيتُ أمرَهم إلى حين لاعتقادي أنهم عاجزون عن الحركة داخلَ القاووش فكيف بالانقلاب ونحن جميعاً في غرفة بحجم رُدهة أهلي للضيوف بنافذة مكوّرة عالية وباب بمزلاج حديد مع ستة وستين نزيلاً غيرهم.

ثم مرّ عليّ زمنٌ خبرتُ طولَه من تلك النافذة الكوّة أعلى القاووش فمنها نهارًا نورُ الشمس يفيضُ إلى القاووش فيحجبُ الفكرَ النيّرَ عن عقول نزلائه، وخبرتُ عرضَه من مصباح الكهرباء يتدلّى من سقفِ القاووش فمنه ليلاً ضوءٌ يشعّ فلا تقوى العيونُ على النظر إليه فكأنّ النومَ ضربَ لازبٍ، بالإكراه وليسَ بالرضى، فلا يبقى للنزلاء خيارٌ إلّا الخلود إلى الأحلام الزاهية اللذيذة. وعلى هذا النحو انقضى النهار وانصرمَ الليل فكأنّه في القاووش لا نهارَ ولا ليلَ، وإنّما شيءٌ من هذا القبيل شُبّه للنزلاء، فمرّ زمنٌ فلان فطعنتُه بمدية حادّة وفارق الحياة. استعدتُ بالله وانتهزتُ طبعَ صراحته فسألتُه ما بال هؤلاء السبعة الهامسين الكاسفين في تلك الزاوية من القاووش واشرتُ إليهم بسبّابتي فأجاب رأساً بلغة العارف أنهم كانوا يتسلّلون باسلحتهم إلى فلسطين زمنَ الحلم الرومانسي بتحريرها فاعتُقلوا وجيء بهم إلى هنا فتنفّسَت الصعداء وحمدتُ الله أنّ تهمتي بسيطة بالقياس إلى تهمة جماعة الحلم الرومانسي أنهم كانوا يتسلّلون باسلحتهم إلى فلسطين فنمتُ ليلي قريرَ العين هانئاً.

ثمّ إنّي سلّمت أمري لقدري المحتوم بين اثنين وسبعين نزيلاً وأنا مستلقٍ على بساط من قشّ خفيف إلى أن استدعاني أمر السجن إلى مكتبه فلبّيتُ طلبَهُ مخفوراً. أبلغني أن نافذين يتصلون به يومياً طالبين منه إطلاقَ سراحي لعدم ثبوت التهمة عليّ، ولكن بما أن الادّعاء عليّ لا يجيزُ فكّ أسري، فإنّ أقصى ما يراف بي هو نقلي من قاووش فيه اثنان وسبعون نزيلاً غيري إلى قاووش فيه ثلاثة نزلاء فأصبحَ رابعَهم. اعتذرَ عن كوني خُشرتُ لزمن طال في قاووش ضيّقٍ فأجبتُ أني سعيد بالنقلة وفعلاً مضيتُ مخفوراً إلى قاووش فيه ثلاثة جنرالات تمّ احتجازهم قيد التحقيق معهم فاستعدتُ باللّه من جديد من قدري المحتوم، فالذي خشيتُه دهمني.

لكن والحقّ يقال أني ارتحتُ إلى مجلس هؤلاء الجنرالات نزلاء القاووش الفسيح، فلا ضجّة ولا جلبة بل هدوء وسكينة، فالجنرالات، كلّ في زاويةٍ، ويبدو كتاب بالفرنسية، وهو متكئ بكوع إلى كومة كتب وبيده الأخرى سيجارة ينفثُ دخانَها فتلتقي الأدخنةُ الوافدة من الزوايا الثلاث وتتصاعدُ معاً وتخرجُ من نافذة صغيرة مكوّرة في أعلى الغرفة، فيما أنا في الزاوية الرابعة أتساءلُ ما الذي جاء بهؤلاء العسكر إلى السجن.

إلى أن حانت الساعة تلك وكانت تلك الساعة لا بدّ آتية. في الصباح كان يأتينا الفطور من مطعم ذي نجوم خمس ترسله زوجة أحد الجنرالات، فيما ترسل الغداء أخرى من المطعم نفسه، والعشاء ترسله الثالثة ومن مطعم النجوم الخمس نفسه، وبقيتُ على هذا الغَنَج والدلال دهراً أنعمُ بثلاث وجبات دسمة هانئة، فبعثتُ برسالة إلى والدتي أرجوها فيها أن توقفَ الفرّوج عنّي كلّ خميس وأن تُبقي على إحضار السجائر إليّ لأني تعوّدت على نهكتها الأميركية مع أن الجنرالات عرضوا عليّ سجائرهم، إلا أنها كانت فرنسية تصل إليهم يومياً مع الوجبات من زوجاتهم، فكانوا، بعد كلّ وجبة، يقرأون وهم يدخّنون، ثم يهمسون أنهم متى خرجوا من القاووش لأطاحوا بالنظام، فازداد قلقي وصكّت ركبتاي وسمعتُ صريرَ أسناني فقلت يا ليتني كنتُ نسياً منسياً، وليتني بقيتُ في قاووش البسطاء ولكن لاتَ ساعة مندم، فرثيتُ لحالي وقلت ها أنا من الدلف إلى المزراب. ثم جهدتُ لأعرف التهمة اللاحقة بهؤلاء الجنرالات وحمدتُ الله أنهم لم يسألوني يوماً عن التهمة اللاحقة بي. بقيتُ أنظر إليهم يقرأون والسجائر ينفثون وطعاماً شهياً أشاركهم فيه ياكلون، فقلت في نفسي لا تنقصني إلا الكتب لأصيرَ بمرتبة جنرال، على الأقلّ قراءةً. فكتبتُ إلى أمر السجن رسالةً طلبتُ فيها منه كتباً إنْ توفّرتْ وفعلاً جاءني حارسٌ في اليوم التالي بثلاثة كتب هي كرم على درب لميخائيل نعيمة وروميل ثعلب الصحراء مترجماً والبؤساء لهوغو ترجمة حافظ ابراهيم، فقرأتُها جميعها مثنى وثلاثاً ورباعاً ليس إلّا من باب الضجر والملل حتى ضاقت نفسي، لكني، والحقّ يُقال، أقرّ بأنّ الجنرالات كانوا على قسط وافر من الوقار والتهذيب فما أن يحضرُ الأكلُ حتى يقولوا بصوت واحد تفضّل يا أستاذ فانهض من زاويتي شاكراً لطفهم فما نسيتُ يوماً فضلَهم عليّ حتى الساعة فأمنتُ ببراءتهم، وفكّرتُ هي تهمٌ لحقتْ بهم ليس إلّا كما لحقتْ بي تهمة ليس إلّا، فقلتُ في سرّي صبراً جميلاً.

ثم كان ذات مساء نظرتُ إليه من النافذة المكوّرة أعلى القاووش فرأيتُ نجماً ثاقباً ساطعاً ذكّرني بغروب شمس خليل مطران وهو عند ساحل الاسكندرية بعيداً عن بعلبك مسقطه التي أورد ذكرَ أعمدتها في ديوانه عام 1900 ديوان الخليل فيما حدّد وجهةَ الحداثة في تقديمه له، وخطرَ في بالي تلاطمُ موج بحيرة لامارتين تعريب نقولا فيّاض، فرأيتُ أنّ الرومانس باعثُ الحسّ والفكر على السواء، وفيما أنا ساهِمٌ في تأمّل النجم الساهر الثاقب، سمعتُ فجأة طرقاً على الباب فدخل علينا عشاء ونسيتُ أمر نجمي وانكشفَ الغطاء عن العشاء، فإذا هو شِواء ومزةٌ شهيّةٌ فاجتمعنا حوله ورقدنا عنده كالنسّاك في الزهد ودارَ حديث وَدّي، فقلتُ هذه فرصتي لسؤال الجنرالات عن سبب دخولهم إلى السجن. حاروا في الإجابة وتلعثموا، لكن أحدهم نطق بما يفسّر مالهم. قال إن الثلاثة خرّيجو كلية طولون العسكريّة عند بحر فرنسا المتوسّطي وإن العهد الحالي اتّهمهم بالتواطؤ مع العهد البائد بالتحضير للإطاحة بالنظام السائد، فرجفتُ وخفتُ وقلتُ في نفسي يا حولَ الله من آخرتي بين صراع عسكر وعسكر، وتمنّيتُ لو أني أعود إلى أهلي لئلا تُلفّق لي تهمة أعظم مما أنا فيه. ساعتئذٍ سرى فيّ تيّارُ فزع فبقيتُ سهراناً بعدما نامَ الجنرالات أنظرُ من النافذة الكوّة. فلا أرى إلا النجمَ عينَه يحدّقُ بي وهو النجمُ نفسُه الذي أراه كلّ ليلة من النافذة الكوّة نفسها فعجبتُ لأمري ورثيتُ لحالي، فأنا إيماني عظيم بأنّ الدنيا تدورُ فكيف إذن هذا النجمُ ثابتٌ في مكانه فيما القاووش يدور، أم أنّها هي هواجسي بي تدورُ ووساوسي تلتفّ عليّ، فدبّ فيّ ارتباك لم أعهده من ذي قبل وتمتمتُ شفتاي: الا تكفي تهمة ملفّقة لي فيما أنا أنام مع عسكر ضدّ عسكر وعيني على النجم الثاقب الساطع.

وطال يومي في القاووش وقَصُر ليلي مع النجم إلى أن فجأة سمعتُ منادياً من خارج القاووش ذاتَ صباح هتفَ باسمي والحقّه بتعبير «إخلاء سبيل» فلم أعِ قصدَه، لكنّ جنرالاً أعلمني أن المقصود براءتي وبالتالي خروجي من السجن. ثم قُرع الباب ودخل حارسٌ وقال اتبعني فلحقتُ به طائعاً ووصلنا إلى مكتب وقال انتظر ولا تتحرّك وغاب ثم عاد وسلّمني ما صُودر مني يوم دخلتُ السجن، فأعاد إليّ خاتمي وساعتي وزُنّاري وقال انطلقْ الله معك. فانطلقتُ إلى أهلي ففرحوا بي وفرحتُ بهم وقالوا تمنّ ما تشتهي قلت كنافة نابلسية فجيء بها والتهمتُها ونمتُ على حرير. فلمّا صحوتُ، جاء نذير يحملُ رسالةً تدعوني للمثول أمامَ المحكمة العسكرية، فطار هدوئي ثمّ خفّ وزني وهزّل شكلي ثم تجرأتُ وذهبتُ إلى المحكمة تقودني والدتي. وهناك استمعتُ إلى التهمةً أن عُثر بين أغلفة كتبي على بيانات تدعو إلى دكّ النظام دكّاً وإلى تبنّي مبادئ الحرية والإخاء والمساواة، فلم أدرِ ما أقول فالتهمة صحيحة. وحين لفظَ القاضي حُكمَهُ عليّ بالمؤبّد مع وقف التنفيذ، شهقتْ والدتي وصرختُ بأعلى صوتها: حرام عليك يا حضرة القاضي، فهي لم تعِ معنى مع وقف التنفيذ، فارتجّ على القاضي وقال: تقدّم صوبي. فتقدّمتُ وهمسَ في أذني أن قُلْ لوالدتك أن تأخذك معها فعدتُ معها سالماً معافى من وطأة العقيدة وسلّمتُ أمري إلى مقادير الزمان فنمتُ خالي البال ما حييتُ حتى الساعة.

* لبنان

ثلاث قصائد

عبد الخالق كيطان (*)

1. حقول الغريب

إلى حد قريب كنت أنا صاحب الحقل
والدجاجات
ولكن الغيث غاب
وغابت الغيوم الصغيرة التي كانت تبكي
على حالي
وجدتني أقف تحت الشمس بلا قبعة
حتى أن المحراث الذي كنت أشتغل فيه
انكسرت ساقه
هكذا هي حياة فلاحي القناعة
دائماً ما تنتزع أراضيهم منهم
أو أن غريباً يصل
فيصبح صاحب الحقل والدجاجات.

2. تراب على الطاولة

سقط الكثير من الثلوج في هذا الجزء من
العالم...
وفي جزء آخر تقذف السماء حمماً من نار.
كنت بين عالمين أحاول الوصول إلى الطاولة
وكتابة شيء عن اللعنة التي تربك الجهات.
كان ذلك بمثابة ذروة، أوركازم لا يريد
الوصول.
خيّل إليّ أن الطاولة تتحرك،
لم يكن مجدياً التحرك نحوها في هذه
اللحظة.
أنا مثل جندي يرى عدوه أمامه ولكنه مقيّد
بالأخلاق
عليّ أن أربض في مكاني لأطول فترة ممكنة.
الحياة ترقص بين حزمة سكاكين.
وبين فاصل وآخر ثمة دم يمتد بلا نهاية.
أسقط صريعاً برصاص عدوّي.
واتحسّس السكاكين الكثيرة
جزع من الموت
كان مملاً مثل حياتي
وحياتي كانت رقصت حدّ الإعياء.
أمّي الوحيدة التي كانت تزيل التراب عن
الطاولة...
أنا بلا أمّ
والمرض شديد..
والكتابة لم تعُد ضرورة في هذه الأثناء.

3. المهرج والمظلة

الموت يصفر في الأزقة الحزينة
وعلى مسرح قريب
يلعب المهرج بمظلته
المهرج الذي يجلس ساعات طوال أمام المرآة
لا يعنيه شيء في هذا العالم غير مظلته
يموت الجياع
فيما يفتحها على رأسه ويرقص برَهو
ملونة مثل حياته
تعلّم القفز منذ كان طفلاً
لم يعد يهمّه الآن الموتى من الأطفال
تعلّم أن لكلّ شيء عذراً
وعذره
أن مظلته تحميه على الدوام.

* العراق

بيتر ليبكي ـ «رجل المظلة» (2011)

مذكرات

ألكسندرا تولستوي: حياتي مع الأب

محمد ناصر الدين

صدرت أخيراً عن «دار الرافدين» مذكرات الكسندرا تولستوي، الابنة الصغرى للكاتب الروسي الكبير تولستوي بعنوان «الحياة مع الأب» بترجمة عن الروسية من فالح الحمراني الذي صدّر الكتاب بالسياق الذي وُلدت فيه هذه المذكرات: «تروي الكسندرا في مذكراتها عن حياة وعمل ليف نيكولايفيتش تولستوي في الخمس وعشرين سنة الأخيرة من عمره أي المرحلة الثانية من حياة تولستوي، التي ظهر فيها مفكّراً وداعية للأخوة الإنسانية، وعدم مقاومة العنف بالعنف، ونَشر فكره عن مفهومه للدين الحق والعدالة. هي الفترة التي حظي خلالها بالاعتراف العالمي بعبقريته، كأديب ومصلح اجتماعي، وتقدّم الكسندرا صوراً معبرة للشخصيات التي تواصلت مع ليف تولستوي، وتعرض أنشطته الاجتماعية على نطاق واسع، وتستكمل ذكريات الابنة الشخصية بمذكرات الأقارب والأصدقاء والوثائق والتقييمات النقدية للكاتب العظيم».

قبل الفترة التي دونت فيه الكسندرا مذكراتها معه، كان تولستوي (1828 ـ 1910)، يعيش وضعاً عائلياً صعباً، ولا سيما مع زوجته بعدما تنازل عن حقوق مؤلّفاته لناشره. ما فتح المعركة باكراً داخل العائلة حول إرثه المادي والمعنوي: «إن الوضع صعب للغاية في الأسرة». كما أشار في مذكراته في 4 نيسان (أبريل) 1884: «اعتبر كل أفراحهم، والاختبار، والنجاحات الدنيوية، والموسيقى، والجو العائلي، والمشتريات، تعاسة وشراً لهم ولا أستطيع أن أبوح لهم بهذا». وبدا له أنه «المجنون الوحيد في دار المجانين». وبلغ الأمر بصاحب «الحرب والسلام» أن ترك قريته ياسنايا بوليانا مكرراً غاضباً، بيد أنه عاد من «منتصف الطريق»، لأنه كان لا بد أن يولد المولود الثاني عشر. «بدأ المخاض، أكثر اللحظات بهجة وسعادة في الأسرة مرت كشيء غير ضروري وصعب». وبخ تولستوي نفسه. في صباح يوم 18 حزيران (يونيو) 1884، ولدت في عائلة تولستوي فتاة سُميت الكسندرا. لم يعرف تولستوي حينها أن هذه الفتاة التي استقبلها ولادتها بوجوم، ستأخذ مكاناً كبيراً في حياته وقلبه، وتتشبع بآرائه الدينية والأخلاقية المتنورة، وإن حبها المخلص الذي شملته به، سينير له سنوات الغروب. لم يكن تولستوي يعرف حينها أنه ستتشكل من هذه الطفلة شخصية شاملة، نشطة، حرة داخلياً، ترفض العيش في الكذب، وذات طبع متمرّد. كان يجهل أنّ أمام هذه الفتاة طريقاً شائكاً، وأن الحرب ستحرقها، وسيتعين عليها المرور عبر السجون والمعتقلات، وينتظرها النفي والافتراق عن روسيا وعن ياسنايا بوليانا التي تحوّلت بجهودها إلى متحف يخلّد ذكرى والدها.

مرت الكسندرا تولستوي بما يشبه معمودية النار للحؤول دون النيل من اسم والدها العبقري، في طريق وعر محفوف بالمحن القاسية، ما تطلب منها قوة روحية وجسدية وشجاعة زائدة. لم يكن يدور في خلد تولستوي حينها أن ابنته كانت صاحبة موهبة أدبية، وأنها باتباع نصيحته بكتابة يوميات، عن الانطباعات، والحياة مع الأب، ستخلق رواية مذكرات، ذات أسلوب سردي أنيق. سمعتْ «كاتبة اليوميات» مرات عدة من والدها: «أنا بحاجة إلى حبك»، وقد حصل عليه بالكامل، وليس من قبيل المصادفة أن الابنة الصغرى، كانت الوحيدة من بين أقاربه، التي عرفت بسرّ هروبه الثاني من ياسنايا بوليانا بفعل المشاكل مع الزوجة والأبناء، وساعدت في الاستعدادات المستعجلة للرحيل في ليل 28 تشرين الأول (أكتوبر) 1910، وعرفت بمكان وجوده. وبناءً على طلبه، ذهبت إلى دير «شامورديتو» وقطعت الطريق حتى محطة «أستابوف» حيث لقي حتفه. بعد وفاة تولستوي، قامت الابنة في 1911، مع ناشره تشيرتكوف بنشر طبعة من ثلاثة مجلدات من «الأعمال الأدبية غير المنشورة»، التي تركها ليف تولستوي بعد وفاته. ووفقاً لرغبة والدها، اشترت بعوائدها أرض ياسنايا بوليانا وأعطتها للفلاحين، كما يرد في المذكرات: «في ظل البرد والجوع والدمار ورعود الحرب الأهلية، تخطت مجموعة صغيرة من علماء الأدب واللغة عتبة الغرفة المخصصة لهم في متحف روميانتسيف، وقاموا بتفكيك، وتنظيم، وتحقيق مخطوطات الكاتب، التي تم طبعها عشوائياً في صناديق. لم تتم تدفئة المتحف وانفجرت أنابيب المياه، كما جرى في كل مكان في موسكو. وعملنا ونحن في معاطف الفرو، وأحذية اللباد، وقفازات محبوكة... وعلى الرغم من هذه الظروف الفظيعة من البرد في مبنى حجري غير مدفأ ذي جدران تجمدت تماماً، أكثر شدة من البرد في العراء، نسينا البرد والجوع، وقرأنا مقاطع جديدة من «الحرب والسلام» وفرحنا مثل الأطفال عندما تمكّنا من فك الكلمات الصعبة... لقد ولع الجميع على الإطلاق بالعمل وقمنا بتحقيق نصوص اليوميات، وقراءتها عدداً لا يُحصى من المرات، وعثرنا على المزيد والمزيد من الأخطاء. تم استخدام جميع قوائم الجرد التي تم تجميعها، ووضع الأرشيف المنظم، والنصوص المصححة من أخطاء النسخ في إعداد الأعمال الكاملة الأساسية لتولستوي المكونة من تسعين مجلداً».

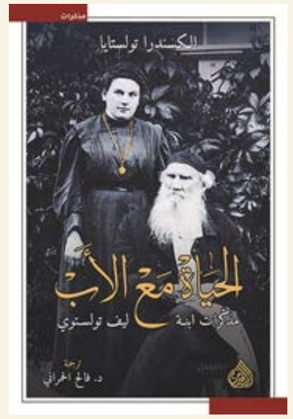

مقاربة المرحلة الثانية من حياته حيث صار داعية للإخوة الإنسانية

ألقى القبض على الكسندرا في آذار (مارس) 1920، ارتباطاً بقضية المنظمة السياسية المعروفة باسم «المركز التكتيكي» وتم استجوابها من قبل محقق اللّجنة الاستثنائية لعموم روسيا لمكافحة الثورة المضادة المعروف باكوف اغرانوف. في آب (أغسطس) 1920، حكمت عليها المحكمة الثورية العليا بالسجن ثلاث سنوات في معسكر اعتقال في «دير نوفوسباسكي» في موسكو. كانت تهمة ابنة تولستوي تتمثل في أنها وفرت شقة للاجتماعات للمضادين للثورة، وبفضل رسالة وجهتها إلى لينين وبجهود الفلاحين في ياسنايا بوليانا، وصل قرار العفو في الوقت المناسب، فبارحت الكسندرا معسكر «دير نوفوسباسكي» في صيف 1921، لتكون لفترة مديرة لـ «متحف تولستوي» قبل أن تتخذ قرارها بترك روسيا إلى الأبد وتستقر في الولايات المتحدة.

في كلّ من اليابان وأميركا، كرست الكسندرا وقتها لإلقاء محاضرات حول تولستوي، وحياته، ونظرته إلى العالم والأدب، وكذلك روسيا التي كانت برأيها تنتقل إلى القبضة الحديدية للديكتاتورية الستالينية الاستبدادية. تم الكشف عن الموهبة الأدبية لألكسندرا تولستوي بكل أصالتها في فن كتابة المذكرات الذي بدأته في موسكو، بعدما نشرت مقالاً بعنوان «عن رحيل وموت ليف تولستوي»، وعادت له خلال المنفى، حيث هيمنت قصص الماضي على كتاباتها. نتيجة لذلك، ظهرت سلسلة المذكرات من خمسة أجزاء مستقلة، التقط كل منها بالترتيب الزمني أجزاء من سيرتها الذاتية. انتهى كتاب «الابنة» في عام 1939 وهي الفترة التي تأسست خلالها في الخارج «مؤسسة تولستوي الخيرية». كما جربت الابنة الكتابة الروائية، فنشرت عام 1942 في ثلاثة أعداد في مجلة «نيو جورنال» نيويورك رواياتها «ضباب ما قبل الفجر» التي لن تنهي كتابتها قبل وفاتها (1979). في السنوات اللاحقة، ساعدت المؤسسة العديد من المهاجرين من الاتحاد السوفياتي بعد الحرب العالمية الثانية، ومنهم الكاتب الروسي/ الأميركي الشهير فلاديمير نابوكوف، على الإقامة في الولايات المتحدة في عام 1942. ترأست الكسندرا تولستايا في عام 1952 المجلس العام لـ «دار تشيخوف للنشر» التي أنشئت في نيويورك. «الحياة مع الأب» هو أحد الأجزاء الخمسة من مذكراتها. وقد أتاح بالسرد الوثائقي الممتع للقارئ الروسي والأجنبي أن يتعرف بشكل كامل ومفصل إلى تاريخ حياة العبقري الروسي، وولادة كتبه العظيمة، وأعماله الإنسانية، وخطبه الشجاعة ضد الحكومة القيصرية، وتقلّبات روحه، والعلاقات مع أفراد الأسرة ولا سيما العلاقة الشائكة مع الزوجة، والأدباء المعاصرين. حظي الكتاب بنجاح كبير، وتُرجم إلى الدنماركية والإسبانية والفنلندية والفرنسية والسويدية واليابانية وأخيراً إلى العربية: «بعد كل شيء، هذا الكتاب الذي اكتبه ليس أمراً هيناً، سيبقى بعدي. لم يكن من السهل عليّ رواية الماضي، مع اختلاج مشاعري المعقدة. كنت أخشى من الاتهامات بالتحيّز، ورسم صورة مفرطة السلبية لوالدتي. أنا حزينة، لأنني اكتب عن أبي وأتذكر كيف أحببنا بعضنا في العام الأخير من حياته، أكتب وأبكي حتى أنّ عيني تلبدت تماماً، ولم أعد أستطيع الكتابة».

لمحات

ف. ج. زيبالد

لا يعتمد ف. ج. زيبالد (1944 – 2001) أسلوباً أو جنساً أدبياً واضحاً في «دوار. أحاسيس» (1990). بعدما نشرت مؤلّفه «حلقات زحل»، أصدرت «دار التنوير» أخيراً الترجمة العربية من كتابه «دوار. أحاسيس» (ترجمة «إن الوضع صعب للغاية في الأسرة». وعرفت بمكان وجوده. وبناءً على طلبه، وفاروق). وقد جاء هذا المؤلّف، بعد سنوات من عمل الكاتب الألماني في الكتابة الأكاديمية حول الأدب الألماني والأوروبي. غير أنه يتحرّر فيه من القيود الأكاديمية، ساعياً إلى بناء عمل أدبي مركّب يقوم على التناص والتلاعب بالنصوص والتضمين وغيرها من اللغة الأكاديمية. تجارب أدبيّة جعلته قبل وفاته المبكرة أحدّ أهمّ المرشحين المعاصرين لنيل جائزة نوبل للآداب.

علياء الداية

تغطي دراسة «جماليات الهوية في الرواية العربية المعاصرة 1985 - 2015» (دار نينوى) للأكاديمية علياء الداية ثلاثة عقود من تاريخ الرواية العربية. من خلال أربعة فصول، تقدّم الداية قراءة لتجارب روائية عربية متنوّعة من مناظير مختلفة منها: الأمكنة، وجماليات الهوية، وعي الهويّة والعزلة، والتأثيرات الفنية الأخرى على الروايات منها الموسيقى. تشتمل الدراسة على ست عشرة رواية لمجموعة من الكتاب والكاتبات من بينهم بثينة العيسى، ورجاء عالم، شهلا العجيلي، وعبد الخالق الركابي، وعلي المقري، ولينا هُوَيان الحسن وهاني الراهب وآخرين.

جمال حسين علي

يستكمل جمال حسين علي سرد فصول الملحمة العراقية التي دشّنها في رواية «أموات بغداد» (2008)، ومن ثمّ «رسائل أمارجي» (2019). في روايته الجديدة «حبّة بغداد» (دار المدى)، يمزج الروائي العراقي بين الفنتازيا وواقع بلاده، إذ تظهر حبّة بغداد على جبين جميع سكان العاصمة، الذين فقدوا ذاكرتهم مباشرة بعد سرقة المتحف واحراق دار المخطوطات والمكتبة الوطنية. انطلاقاً من هذه الأحداث الحقيقية، يبني علي عاله الروائي الملحمي الذي تجتمع فيه أجيال من العراقيين، منهم جيل مؤسسي الدولة العراقية، وبناتها والجيل الحالي ضحايا الحروب والعنف.

علي القادري

يقدّم علي القادري في مؤلّفه «تفكيك الاشتراكية العربية» (مركز دراسات الوحدة العربيّة) قراءة متعمّقة للتجربة الاشتراكية العربية، وظروف نشوئها، وأسباب تفكّكها. وفي حين يرصد الأكاديمي اللبناني في دراسته الإنجازات التي حقّقتها هذه التجربة على مستويات التنمية الاقتصادية والاجتماعية، يُظهر كذلك إخفاقات هذه الأنظمة التي بدأت تتفكك منذ السبعينيات. من خلال تحليله للبنية الطبقية لتلك التجارب، يقف الكتاب عند أبرز التطوّرات التي شهدتها هذه البنية والتي ساهمت في تحويل التجارب عكسياً باتجاه الخيارات النيوليبرالية التي قضت على الإنجازات الاشتراكية.

داريوش شايغان

يطرح «ما الثورة الدّينيّة؟ الحضارات التقليديّة في مواجهة الحداثة» الذي صدرت طبعته الثالثة عن «دار الساقي» أخيراً (ترجمة محمد الرحموني)، إشكالية العلاقة بين الحداثة والحضارات التقليدية، بما فيها من سمات تباعد وأخرى تقرّب بينهما. يظهر داريوش شايغان تفكّك البنى القديمة للنظرة التقليدية إلى العالم، وما لحق هذه البنى من تهديم منظم. يتوقّف المفكّر الإيراني المعاصر عند الثورة الدينية تحديداً، وتبعاتها وما تمثّله من عجز الحداثة عن إقناع الجماهير المحرومة، يقابلها عجز التقاليد الدينية عن استيعاب ما عرفته العصور الحديثة لناحية القطيعة مع الماضي.

محمد بن العربي الشرقاوي

لا يركن كتاب «الصوفية والسياسة» (المركز الثقافي العربي) إلى حقل بحثي واحد. في مؤلّفه الجديد، يأخذ الأكاديمي المغربي محمد بن العربي الشرقاوي بحثه إلى مناطق التماس بين حقول عدّة مثل التدوين التاريخي، والنقاش الأنثروبولوجي، والتفسير الاجتماعي، وتحليل الخطاب اللّساني، والتحليل السياسي. العرفان الصوفي، يتعمّق الشرقاوي في حالة الزاوية الشرقيّة في المغرب، ليثبت أنها لم تكن، مطلقاً، مؤسّسة دينية فحسب. إذ أنها مارست السياسة بشكل مباشر أحياناً وبشكل مضمر في أحيان أخرى، فيما «تفاعلت مع وقائع عصرها بذكاء، فائق، ومرونة كبيرة».

رواية

أحمد الفخراني: هزيمة للقاهرة

هدى عمران

تعدّ «إخضاع الكلب» (دار الشروق ـ القاهرة) الرواية الخامسة في مسيرة الكاتب المصري أحمد الفخراني، سبقتها سبعة كتب بين شعر وقصص وروايات، وفازت منها رواياته «بياصة الشوام» (دار العين . 2019) و«ماندرولا» (دار العين . 2013) بـ «جائزة ساويرس الأدبية». يقر الفخراني أن رواياته الخمس تدور كلها حول العوالم في ذهن الفرد المعاصر، في مسارات متوازية ومجابهة للعالم الحقيقي، حيث يكتب عن العالم من مركز فردي، مواجهاً سلطة الذوبان في المجموعة، ويؤكد أنه في روايته الجديدة يخوض هذه الرحلة بتأكيد أكبر، صانعاً من البطل وحده عالماً كاملاً يدور في ذهنه. يقول الفخراني بأنه يحب التجريب في كل عمل جديد (قد يكون تجريباً لغوياً إلى حد كبير)، لكنه يهدف إلى اكتساب قارئ فاهم لأدنى حدود القصة، يقول بأنه واع جيداً لأن تحتوي قصته على أكثر من مستوى لها، متمنياً أن تحقق هدفها، خاصة أننا أصبحنا أمام تحد كبير بخصوص التلقي، ينصرف فيه القراء لـ«الأدب الشعبي والرخيص، مفضلاً خلطة الإثارة والتشويق على الأفكار الكبيرة عن الحياة.

قد ينطلق الفخراني من فلسفة أدبية مصرية تحاول الإنتشار حالياً وفرض نفسها، حيث التوسط بين الأدب ومفهومه العميق وبين إيقاع سريع ولغة قريبة يبرزان فقط في ذهن جدابة، مما ينجح في لفت انتباه القارئ المصري، خصوصاً بعد انتشار المنتديات ومجموعات القراءة التي تنشر يومياً روايات مرتجلة أشبه بأفلام السينما الرخيصة وبلغة ركيكة، لكنها تجد آلاف القراء المتلهفين، في مقابل سوق لا يبذل فيه الناشرون دوراً تنويرياً بقدر ما هو تجاري، إلى جانب غياب مجموعات قراءة جادة وغياب وظيفة الوكيل الأدبي أو على الأقل المحرر الأدبي الحقيقي. لذلك، ينطلق أغلب الكتاب بشكل فردي ابتداءً من عملية الكتابة وتطويرها وانتهاء بعملية الترويج للكتاب.

صدرت رواية «إخضاع الكلب» وعلى غلافها تعريف خاص بها مفاده: «بعد تعرُّضه للخيانة، ينتقل المصور هارون عبد الرحيم إلى مدينة دهب في جنوب سيناء، أملًا في إقامة حصن من العزلة يحميه من الشر، من التجربة، إلا أن الراوي المُصاب بفوبيا من الكلاب، يجد نفسه مُضطرًا لرعاية كلب، ليخوضا معاً صراعاً خفيّاً، يعمد فيه كلاهما إلى إخضاع الآخر، ليختبر مشاعر هي مزيج من الخوف والحنان والعنف، والبحث عن الحب المفقود، والشك في وجوده».

يختار الكاتب مدينة دهب النائية عن القاهرة، والتي تتخذ موقعاً في جغرافيتها بين الريفية والتمدين، عنصر صنعه لجوء أهل المدن والأجانب للسكن فيها. مع ذلك، فهو تخلى عن سمات الأدبيات المصرية التي تحدث في الريف. ورغم هذا الإختيار المكاني، إلا أنه يتسم بالغياب الجلي. حضور المكان وتجسده يبرزان فقط في ذهن البطل المصوّر وعلاقته بالكلب «وتيس» وببعض الجيران من خلال محاورات محدودة جداً. المكان هنا انعكاس فقط لهزيمة الراوي. والراوي هنا هو المكان والفكرة، أو كأن مدينة دهب هي مجرد إنعكاس للخيبة التي تخلقها القاهرة في الشخوص، فيحملونها معهم إلى أي مكان، لاجئين إلى العزلة لكبت الألم أو تفريغه من خلال السير في مسارات فردية بحتة.

تبدأ القصة عندما يقابل المصور المشهور المنعزل حالياً شابة اسمها «أسما»، ممنياً نفسه بعلاقة حب جديدة تشفي الام خيانة زوجته المتخيلة، فتورطه الشابة في تربية كلب. كنوع من الانتقام منه أو لتعزيّة وحدته، يبدأ البطل رحلة هدفها التخلص من الكلب، أو تفريغه من خلال السير في مسارات فردية بحتة.

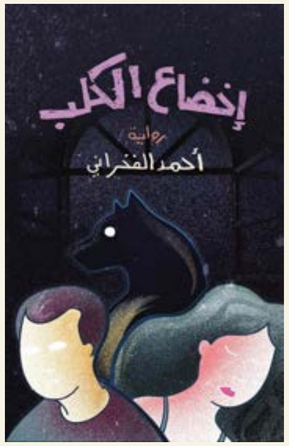

لعبة المرايا جاءت من خلال علاقة الإنسان بالحيوان

تتحوله هذه العلاقة إلى قاتل جبان مهووس كل همه إثبات وجوده من خلال إذلال كائنه.

تقوم الرواية هنا على شقين يدل عليهما العنوان، هما فكرة الإخضاع، وعلاقة الراوي مع الكلب، يتحدث من خلالهما الفخراني عن مفاهيم مثل الحب والأبوة والحنان التي يؤمن راويه أن تحققها لن يحدث، إلا إذا شابها العنف والإخضاع، اللذين يمارسهما طوال الوقت على الطرف الأضعف، أولاً في محاولة لتطويع ابنه وبعدها في علاقته المريبة مع الكلب الذي يتورط في تربيته. هذه العلاقة كاشفة لدواخل الإنسان، فالفخراني هنا مؤمن بفكرة «إذا كنت تريد أن تعرف نفسك رب كلباً»، فكل كلب هو انعكاس لصاحبه، وهو ما حاول أن يفعله الراوي حيث إهانة وتحقير الكلب ما هما إلا إهانة وتحقير لذاته.

لم تكن الخيانة أو القتل هما الجوهر في هذه الحكاية، لكن العلاقة مع كلب هي اللافتة للإنتباه، فدائماً ما كانت لعبة المرآة لعبة مفضلة في الأدب من خلال شخصية وأخرى مضادة، من خلال رجل وامرأة، من خلال العلاقات بين الأفراد، وهنا جاءت اللعبة من خلال علاقة الإنسان بالحيوان، كلبنة الراوي في مواجهة أنسنة الكلاب التي تجلت في حوارات بين البطل وبين كلبة بيضاء يتحدثان فيها عن نيتشه وعن كيفية الوجود وقوانينه. إن هذه الرواية عن الهزيمة المكثفة، هزيمة الحب مقابل الإخضاع، وهزيمة الفن في مواجهة اليأس، هي بالأساس هزيمة للقاهرة في زمن صعب.

أنطولوجيا

رالف دوتلي: النحّالون من كوكب آخر

خليل صويلح

كان رالف دوتلي يمتطي دراجته الهوائية على طريق محاط بالزهور كعادته كل يوم، حين استوقفه عند سور السياج الشائك صاحب منحلة في حديثٍ عابر. لكن القصة لم تنته هنا، إذ انخرط الشاعر السويسري بكل ما يتعلّق تاريخياً بـ «دولة النحل». بعد جولات متعددة تراكم على مكتبه ملف ضخم أشبه بقرص العسل، ليتحوّل لاحقاً إلى كتاب كامل بعنوان «أغنية العسل: تاريخُ ثقافة النحل». في النسخة العربية التي قام بترجمتها الياس حاجوج، وصدرت أخيراً عن «دار كنعان»، سنتعرّف إلى هذا العالم الغرائبي الذي ينطوي على أسرار مثيرة: «إن ما يجعل النحّالين أشد غرابةً وإغواء للمخيلة هو أن عملهم لا يزال على حاله منذ خمسة آلاف سنة، فيما بدا النحّالون بلباسهم الواقي الغريب أشبه برواد الفضاء، وكأنهم رسل من زمنٍ غابر، هبطوا من كوكب آخر».

يقتفي رالف دوتلي تأريخ النحل بسوع المسيح نحلة، والعذراء مريم خلية نحل. وسيطعّم فيرجيل قصائده بالعسل «لأن أتغنّى بهبة السماء، بالعسل الذي يقطر من الهواء». من جهته، يشبّه أفلاطون الشعراء بالنحل، وشعرهم بالعسل، قبل أن يستبعدهم من مدينته الفاضلة بوصفهم أشخاصاً غير موثوقين ومنغمسين في اللامعقول. أما لوركا، فسيشبّه نفسه بالنحلة، ويصف ريلكه الشعراء بأنهم «نحل اللامرئي»، أولئك الذين يحوّلون الملموس إلى ذبذبة وإثارة أعلى قيمة «نحن نحل اللامرئي: بطاقة تعريف شعرية سارية المفعول دوماً. بطاقة في خلية النحل. من مطلع الربيع إلى بداية الخريف، تضع الملكة نحو 1500 بيضة يومياً، ما يعادل نصف مليون بيضة، كما لو أنها آلة تكاثر جبّارة بمبايض فائقة الفعالية.

في الصيف تغادر الملكة القديمة مخدعها نحو مسكنٍ آخر لمصلحة خليفتها. أما ذكر النحل، فما إن ينجز مهمته في التلقيح حتى ينفجر جسده في الهواء، في عمليات قتل واغتيال مخيفة. على المقلب الآخر، ستكتشف أن نحلة العسل بمثابة صيدلية طائرة بوصفات علاجية متعددة، حتى أن كل شعر الحب والغرام الهندي يقوم على تبجيل النحل والعسل. وفي الأساطير الفرعونية، حينما يبكي إله الشمس رع يولد النحل من دموعه، كما سيستخدم الشمع والعسل في مواد التحنيط بخواصه المضادة للجراثيم. وسيأمر الاسكندر الكبير، وهو على فراش الموت، بأن يُدفن في العسل للحفاظ على جثمانه من التعفن. في الكتب المقدسة، سيحضر العسل كرمز لحلاوة الحقيقة الإلهية، واستعارة شهوانية لمسرّات الحب. يسوع المسيح نحلة، والعذراء مريم خلية نحل. وسيطعّم فيرجيل قصائده بالعسل «لأن أتغنّى بهبة السماء، بالعسل الذي يقطر من الهواء». من جهته، يشبّه أفلاطون الشعراء بالنحل، وشعرهم بالعسل، قبل أن يستبعدهم من مدينته الفاضلة بوصفهم أشخاصاً غير موثوقين ومنغمسين في اللامعقول. أما لوركا، فسيشبّه نفسه بالنحلة، ويصف ريلكه الشعراء بأنهم «نحل اللامرئي»، أولئك الذين يحوّلون الملموس إلى ذبذبة وإثارة أعلى قيمة «نحن نحل اللامرئي: بطاقة تعريف شعرية سارية المفعول دوماً. بطاقة زيارة ماورائية للشعراء». بالنسبة لشاعرة متشككة مثل إيميلي ديكنسون، ستجد في مملكة النحل ما يشبه عزلتها الأبدية، إذ لم تغادر منزلها طوال خمسين عاماً، أبعد من الحديقة «ليتني في ارتحال لا نهاية له/ مثل النحلة في العشب/ أحلّ ضيفةً حيثما يطيب لي/ وما من أحد يزورني». وها هي الشاعرة الأميركية سيلفيا بلاث التي انتهت حكم هذه العائلة. في مطلع القرن العشرين، سينجز موريس ميترلنك كتابه الملهم «حياة النحل» الذي يفيض بالشعرية العالية، وتلاه جان هنري فارب في أبحاثه المتخصصة في تشريح غريزة وسلوك الحشرات، الأبحاث التي فتنت الأدباء، فقد وصفه فيكتور هوغو بأنه «هوميروس الحشرات». ورشحه مارسيل بروست وأندريه جيد لجائزة نوبل في الأدب عن كتابه «مذكرات باحث حشرات» بوصفه فيلسوفاً وشاعراً وفناناً. ذلك أن الافتتان بدولة النحل ينطوي على دعوة إلى العمل والعقلانية، على عكس دولة النمل التي تستدعي نظام الدولة الشمولية. في فيلم «مربي النحل» للمخرج تيو أنجيلوبولوس نلتقي مارسيلو ماستروياني مدرس الابتدائي المسنّ الذي يعيش وحيداً في شمال اليونان، يقود شاحنته المحمّلة بخلايا النحل نحو أزهار الجنوب، وفي عمل تدميري أعمى يقلب خلايا نحله، وتلسعه الحشرات الهائجة المثارة حتى الموت: «إنه انتحار متعمّد باختيار الرجل المسنّ تربية النحل مهنة عائلته منذ أجيال، وسيلة لوداع الحياة التي أضحت بلا معنى». في زيارته المتأخرة للنحّال الذي الهمه فكرة كتابه، لم يجد رالف دوتلي المنحلة ولا صاحبها، فقد غادر إلى وطنه الأصلي، وهنا يتساءل: «هل تحوّل إلى نحلة وطار بعيداً؟»، ففي الاعتقاد الشعبي للاسترالليين أن نفوس البشر تغادر الدنيا في هيئة نحلات تطير من فم الميت، وتحلّق صاعدة إلى النور.

يختم هذا الكاتب المفتون باللذة كتابه بملحق يشتمل على مختارات من قصائد النحل المكتوبة من تاريخ ما بعد الميلاد بقليل إلى اليوم بتواقيع بول فاليري، وبابلو نيرودا، ولوركا، وسيلفيا بلاث، وآخرين.

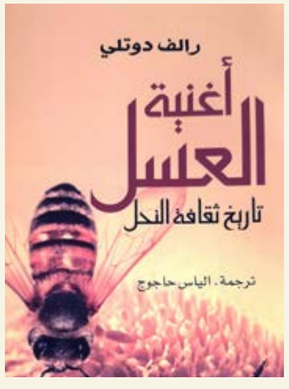

كل شعر الحب والغرام الهندي يقوم على تبجيل النحل والعسل

أوراق

نصّ سوزومين ومدينة الخليل وبدايات الإسلام

زكريا محمد *

لدينا النصّ أدناه لسوزومين- وأنا ترجمته عن الإنكليزية- من كتابه المعروف باسم The Ecclesiastical History of Sozomenus (التاريخ الكنسي لسوزومين). وُلد سوزومين في عائلة مسيحية فلسطينية ميسورة عام 400 م في بلدة «بيت إيليا» قرب مدينة غزة. درس القانون، وعمل محامياً. وبدأ بتأليف كتابه عام 440 م وأنهاه عام 448 م. وتوفي عام 450 م.

وُضع هذا النص تحت المجهر من قبل الباحثين في السنوات الأخيرة في سياق الاهتمام ببدايات الإسلام، أو ما يسمى عند الباحثين بـ «الإسلام المبكر» (1). فهو يتحدث عن معبد، أو مكان مقدّس، يمثل ما يمكن تسميته بشرعة إبراهيمية، أو ديانة إبراهيمية، مختلفة عن المسيحية واليهودية، وإن كانت على تماس معهما، في منطقة الخليل في فلسطين. وهو يتحدث عن هذه الشرعة عبر الحديث عن عيد ديني كبير يقيمه «الفينيقيون والعرب» في فلسطين وما حولها عند «بلوطات ممرا»، التي تقع قرب مدينة الخليل، والتي ورد ذكرها في التوراة: «وظهر له الرب [إبراهيم] عند بَلُّوطات مَمْرَا وهو جالس في باب الخيمة وقت حرّ النهار» (تكوين 18: 1). أو عند «البُطمات» كما كانت تسمى في وقت سوزومين أيضاً، وحسب نصه. وهذا العيد الذي يتمحور حول إبراهيم وحول الملاك المرتبط به، يحتفل به المسيحيون واليهود والوثنيون العرب. أي يحتفل به الوثنيون والموحّدون معاً. وقد أثار الاحتفال غضب الإمبراطور قسطنطين حين عرف بأمره. إذ رأى فيه عيداً وثنياً نجساً، فدمّر المعبد، وبنى مكانه كنيسة. وقد أيّدت الحفريات الأثرية في فلسطين في السنوات الأخيرة وجود مركز لديانة إبراهيمية في صحراء النقب التي تقف مدينة الخليل عملياً على أطرافها. فقد عُثر على عشرات النقوش التي تحمل الاسم إبراهيم، ما يعني وجوداً قوياً لديانة تقدّس إبراهيم في المنطقة. لذا، يمكن القول بأنّ جنوب فلسطين، مضافاً إليه منطقة الخليل، كان مركزاً لديانة ذات طابع إبراهيمي.

والنقطة الأهم في النص تتمثل في أن مجموعات عربية كانت تتبع هذه الديانة. وهو ما جعل بعض الباحثين يتحدث عن وثنية عربية فيها سمات توحيدية. وبحكم الصلة التاريخية العميقة بين جنوب فلسطين وشمال الجزيرة العربية، فإنه يمكن الافتراض بأن هذه الديانة كانت لها امتدادات في شمال الجزيرة العربية، أو أنها امتدت إلى هناك.

وبما أن الإسلام هو ديانة إبراهيمية، كما يؤكد القرآن مرة بعد مرة، فإن المرء يجد نفسه ملزماً على الربط، بشكل ما، بين مكة الإبراهيمية وبين مركز الديانة الإبراهيمية في الخليل والنقب في جنوب فلسطين.

ويؤيد هذا الربط الصلات التي حدثت لاحقاً بين النبي محمد وبين منطقة الخليل في فلسطين بعد البعثة وقبلها في أغلب الظن. فنحن نعرف أن وفداً من منطقة الخليل برئاسة تميم بن أوس الداري اللخمي وفد مع مجموعة من عشيرته على الرسول في يثرب في السنة التاسعة للهجرة وأعلن إسلامه، بعدما كان مسيحياً. وتشير دلائل قوية إلى أن تميماً هذا كان من بلدة «بيت جبرين»، التي تقع على بُعد 20 كلم شمال غرب الخليل. ويؤيد هذا أنّ تميماً دُفن في هذه البلدة.

ويبدو أن هذه البلدة كانت مركزاً للديانة الإبراهيمية قبل الإسلام، بدلالة اسمها ذاته. فجبرين صيغة من الاسم «جبريل» ملاك الشرعة الإبراهيمية وملاك الوحي المحمدي. لذا فالبلدة سُميت في ما يبدو باسم هذا الملاك: بيت الملاك جبرين- جبريل. وهو ما يعني أن البلدة كانت في ما يظهر معبداً لجبرين، الذي كان في الأصل إلهاً، ثم نزل إلى مرتبة ملاك لاحقاً. وهذا الإله- الملاك نظير الإله- الملاك ميكائيل ونقيضه. وقد كان ميكائيل معبوداً في بئر السبع في شمال النقب منذ ما قبل الميلاد. فهناك مسلّة قدّمها المسؤول المصري عن المدينة لإله يدعى «ميكال» في القرن 13 ق.م. ولأن تراث بيت جبريل الإبراهيمي كان قوياً، فإنه يمكن الافتراض أن مسيحية تمام أيضاً كانت تحمل بصمات إبراهيمية.

على أيّ حال، فقد أقطع النبي تميماً الداري أرضاً في منطقة الخليل. وبناءً على ما يبدو لي أنه النص الأقدم لكتاب هذا الإقطاع، فإن الرسول منحه أرضاً في «حبري» و«بيت عينون». ويعتقد على نطاق واسع أن «حبري» تحريف لـ «حبرون»، الاسم القديم للخليل. لكنني أعتقد أن «حبري» تصحيف لـ «جبرين». وإذا صحّ هذا، يكون الرسول قد أقطع تميماً أرضاً في بيت جبرين التي هي بلدة تميم في ما يظهر.

وثمة إشكال معروف في هذا الإقطاع: فهل أقطع الرسول تميماً أرضاً كان يملكها الرسول ذاته، أم أنه أقطعه أرضاً بناءً على ما سيحصل لاحقاً، أي بناءً على فتح فلسطين الآتي؟ الغالبية الساحقة ترى أنه أقطعه أرضاً بناءً على حقوق الفتح الآتي. أما أنا فأميل إلى أن الرسول أقطع تميماً أرضاً من أملاكه الخاصة في منطقة الخليل. وهي أرض ربما كان قد اشتراها أثناء رحلاته التجارية إلى الشام، أو أنه ورثها عن عائلته. يؤيد هذا أنّ إقطاع تميم كان الإقطاع الوحيد للرسول في الشام. ولو كان الأمر يتعلق بإقطاع ما بعد الفتح، لسمعنا أن الرسول أقطع آخرين في مناطق أخرى من بلاد الشام. لكننا لم نسمع بهذا. فقد كان إقطاع تميم هو الإقطاع الوحيد للرسول في الشام.

وإذا كان الرسول يملك أرضاً في بيت جبرين، التي تقع في الطريق إلى «غزة هاشم» التي هي المحطة الأخيرة للتجارة العربية إلى الشام قبل مصر، فهو يعني أنه كان على معرفة جيدة بمنطقة الخليل وبتقاليدها الدينية وعلى رأسها التقليد الإبراهيمي، قبل البعثة. وقد صرنا نعرف، وانطلاقاً من حفريات النقب الحديثة، أن التقليد الإبراهيمي، المرتبط بطراز من الوثنية، ظلّ، وبناءً على الحفريات الحديثة، موجوداً في النقب حتى الإسلام، بل وظل حياً حتى القرن الثامن الميلادي.

بناءً على كل هذا، يمكن للمرء أن يفترض أنّ بدايات الإسلام قبل البعثة ربما تكون قد تشكّلت، كلياً أو جزئياً، في فلسطين. الوحي تشكل في مكة. أما ما قبل الوحي، أي الأرضية التي نهض عليها الوحي، فقد تشكّلت في بيت جبرين والخليل.

في كل حال، فنصّ سوزومين نص مهم جداً. وهو بحاجة إلى تأمل لإظهار عناصره وتفسيرها. لكنّ المجال هنا لا يتسع لمثل هذا التأمل. لذا يمكن الحديث عن عنصرين اثنين فيه: الأول: وقد تنبه له بعض الباحثين وهو الشبه بين المعبد الإبراهيمي في الخليل والمعبد المكي (2). فلكلا المعبدين بئر. ففي مكة هناك بئر زمزم، وفي الخليل هناك بئر شجرة البطم، أو بئر بلوطات ممرا. والحق أن التوراة في قصة إسحق وإبراهيم تحدثنا عن بئر تدعى «بئر سبع» أيضاً، التي يبدو أن اسم مدينة «بئر السبع» على علاقة بها. وهو ما يعني أن الديانة الإبراهيمية، أو ما يشابهها من معتقدات، مرتبطة ببئر دائماً.

مقام تميم الداري في بيت جبرين التي هجّر أهلها الصهاينة عام 1948

> البلدة كانت مركزاً للديانة الإبراهيمية قبل الإسلام، بدلالة اسمها ذاته، فجبرين صيغة من الاسم «جبريل»

الثاني: أن سوزومين يخبرنا بأن المحتفلين بالعيد لا يسحبون الماء من البئر. وقد افترض سوزومين أن ذلك ناتج عن أن الماء لا يصلح للشرب بسبب ما يُلقى في الماء من تقديمات. لكن يبدو لي أن هذا التفسير غير صحيح. إذ يبين لنا وصف سوزومين أن العيد صيفي. وحسب ما بينت في كتبي عن الحج المكي، فإن الحج الصيفي المكي مرتبط بالنبيذ لا بالماء. أي أن الحجيج يُسقى فيه النبيذ لا الماء. لذا تكون «سقاية الكعبة» مملوءة نبيذاً في هذا الحج. أما في الحج الخريفي فتكون مملوءة ماء. يؤيد هذا قول سوزومين أنّ الحجاج يسكبون نبيذاً في البئر. وهو ما يشير إلى العنصر الخمري الذي نتحدث عنه. والعنصر الخمري مرتبط بميكائيل لا بجبريل في ما أرى. وإذا صح هذا يكون سوزومين قد شهد عيد ميكائيل لا عيد جبريل، لكن في منطقة معروفة بتقليدها الإبراهيمي العميق. فحجّ جبريل خريفي لا صيفي. وهو حج مائي لا خمري. لكنّ ميكائيل في النهاية هو الوجه الآخر لجبريل. وهما معاً وجها الكون-الإله.

نصّ سوزومين

«أعتقد أنه من الضروري تفصيل إجراءات قسطنطين في ما يتعلق بما يسمى بلوط ممرا. وهذا المكان يسمى الآن «تيريبينثوس» [البطمات]، وهو يبعد حوالى خمسة عشر ستاديوم [2,5 كلم تقريباً] عن الخليل، التي تقع إلى الجنوب على بُعد مائتين وخمسين ستاديوم عن القدس. هنا ظهر ابن الله لإبراهيم مع ملاكين أرسلا ضد سدوم وتنبؤوا له بميلاد ابنه. وهنا يجتمع سكان البلاد والمناطق المحيطة بفلسطين، فينيقيين وعرباً، سنوياً خلال موسم الصيف لإقامة عيد رائع؛ هذا إضافة إلى عديدين، مشترين وبائعين، يأتون إلى هناك إلى هذا التجمع. وفي الواقع، فإن هذا العيد تتردد إليه كل الأمم: اليهود، لأنهم يفاخرون بنسبهم إلى رئيس الآباء إبراهيم؛ الوثنيون، لأن الملائكة ظهروا للبشر هنا، والمسيحيون، لأنه من أجل خلاص العالم وُلد المخلص من عذراء، حيث أظهر نفسه بعد ذلك لرجل تقي هنا.

علاوةً على ذلك، فقد كُرّم هذا المكان بشكل ملائم بالممارسات الدينية. يصلي هنا بعضهم لربّ الكل. وبعضهم يدعون الملائكة، أو يسكبون الخمر، أو يقدمون بخوراً، أو ثوراً، أو تيساً، أو نعجة، أو ديكاً. وكل واحد منهم أنتج شيئاً جميلاً من عمله، وبعد أن جوّده بعناية طوال العام بأكمله، قدّمه في هذا العيد، وفقاً لنذر، عنه وعمّن يعول.

وهم يمتنعون [في هذا العيد] جميعاً عن زوجاتهم إما لكرامة المكان، أو بسبب الخوف من الغضب الإلهي، على الرغم من أن هؤلاء النسوة اهتممن خلال العيد بجمالهن وزينتهن. وإذا صدف أن شاركن في المواكب العامة، فإنهن لا يتصرفن على الإطلاق بشكل فاضح. كما أنهن لا يتصرفن بلا حكمة في أي مجال آخر، على الرغم من أن الخيام متلاصقة، والناس مختلطون معاً.

المكان أرض مفتوحة، صالح للزراعة، ومن دون منازل، باستثناء المباني المحيطة ببلوط إبراهيم القديم والبئر التي أنشأها. ولا أحد ينضح الماء من تلك البئر في العيد. وتبعاً لممارسات الوثنيين يشعل بعضهم مصابيح قربها، في حين أن آخرين يصبّون فيها النبيذ، أو يلقون الكعك، وآخرون العملات المعدنية، أو المر، أو البخور. ومن ثم، يصير الماء، في ما أفترض، عديم الفائدة بعد أن اختلط بالأشياء التي ألقيت فيه.

وذات مرة، وأثناء الاحتفال بهذه العادات من قبل الوثنيين، بالطريقة المذكورة، وبالمرح المعتاد، حضرت حماة قسطنطين للصلاة، وأبلغت الإمبراطور بما كان يحدث. وعند تلقيه هذه المعلومات، وبّخ أساقفة فلسطين لأنهم أهملوا واجبهم، وسمحوا بتدنيس هذا المكان المقدّس بالتقديمات والأضحيات النجسة. وقد عبر عن لومه الإلهي في رسالة كتبها حول هذا الموضوع إلى مكاريوس، أسقف القدس، ويوسابيوس بامفيلوس، وإلى أساقفة فلسطين. وقد أمر هؤلاء الأساقفة بعقد مؤتمر حول هذا الموضوع مع الأساقفة الفينيقيين، وأصدر توجيهات بهدم المذبح الذي أقيم هناك سابقاً من أساساته، وتدمير الصور المنحوتة بالنار، وإقامة كنيسة تتناسب مع هذا المكان المقدّس القديم جداً.

وأمر الإمبراطور أخيراً، وعلى الفور، بعدم إراقة التقديمات أو الأضاحي، وبإقامة كنيسة تُكرس حصرياً لعبادة الله وفقاً لقانون الكنيسة؛ وأنه في حال القيام بأي محاولة لاستعادة الطقوس السابقة، يجب على الأساقفة إبلاغ الجانح بأنه قد يتعرض لعقوبة شديدة. وقد طبّق الحكام وكهنة المسيح الأوامر الواردة في رسالة الإمبراطور بصرامة.

1- G.R. Hawting، The Idea of Idolatry and the Emergence of Islam From Polemic to History، 1999، Cambridge University Pres.

2- Sean W. Anthony، Why Does the Qur›an Need the Meccan Sanctuary? Response to Professor Gerald Hawting›s 2017 Presidential Address https://www.academia.edu/40662088/Why_Does_the_Quran_Need_the_Meccan_Sanctuary_Response_to_Professor_Gerald_Hawtings_2017_Presidential_Address

* شاعر فلسطيني